وليد كاصد الزيدي

الإسلاموية المتطرفة في أوروبا

دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين في الشرق الأوسط



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

يقدم هذا البحث رؤية في شأن تنامي الإسلام المتطرف في أوروبا بصورة عامة وفي فرنسا بصورة خاصة، مع تركيز على حالة جهاديي فرنسا الذين يقاتلون في منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا في العراق وسورية. تدور الحوادث هذه في وقت أصبحت استمرارية مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط، بإدخال الحركات المتطرفة ضمن الاتجاهات السياسية السائدة، قضية خلافية وذات مكانة عالية في أجندة الأمن الدولي. ويسوّغ الخطر الوجودي الذي تتعرض له الدول الغربية المتقدمة قدرًا كبيرًا من القلق نتيجة الإرهاب الإسلاموي الذي بات له أبعاد عالمية.



وليد كاصد الزيدي

باحث عراقي، حائز شهادة الدكتوراه في الفلسفة - تأريخ سياسي، يعمل في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في باريس. صدر له: **السياسة الفرانكوفونية إزاء الوطن العربي؛ الاستشراق والإسلام: دراسة في أدب غوتة؛ سياسة فرنسا الثقافية: لبنان دراسة حالة 1959-1986**.

السعر: 8 دولارات

ISBN 978-614-445-121-2

9 786144 451212

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات

Arab Center for Research & Policy Studies

الإسلاموية المتطرفة في أوروبا

دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين

في الشرق الأوسط

الإسلاموية المتطرفة في أوروبا
دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين
في الشرق الأوسط

وليد كاصد الزيدي

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
الزيدي، وليد كاصد
الإسلاموية المتطرفة في أوروبا: دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين في الشرق الأوسط/ وليد كاصد الزيدي.
208 ص. ؛ 22 سم.
يشتمل على ببليوغرافية (ص. 177-185) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-121-2
1. الإرهاب. 2. الإرهاب - فرنسا. 3. الإرهاب - الجوانب الدينية - الإسلام. 4. الإسلام والغرب. 5. التطرف الديني. 6. الجهاد في الإسلام. 7. الأصولية الإسلامية. أ. العنوان.
363.3250944

العنوان بالإنكليزية

Extremist Islamism in Europe
The Case of the French Jihadists in the Middle East

by Walid Kassed al-Zaidi

الناشـر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center For Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطـر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute. org
الموقع الإلكتروني: www. dohainstitute. org

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الثاني/ يناير 2017

المحتويات

مقدمة

يقدم هذا البحث رؤية في شأن تنامي الإسلام المتطرف في أوروبا بصورة عامة وفي فرنسا بصورة خاصة، مع تركيز على حالة جهاديي فرنسا الذين يقاتلون في منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا في العراق وسورية. تدور الحوادث هذه في وقت أصبحت استمرارية مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط، بإدخال الحركات المتطرفة ضمن الاتجاهات السياسية السائدة، قضية خلافية وذات مكانة عالية في أجندة الأمن الدولي. ويسوِّغ الخطر الوجودي الذي تتعرض له الدول الغربية المتقدمة - تلك التي ترقى إلى درجات أعلى في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية - قدرًا كبيرًا من القلق نتيجة الإرهاب الإسلاموي الذي يُعَدّ الشرق الأوسط مركزه الرئيس، مع أن له أبعادًا عالمية أيضًا؛ إذ يؤثر في لندن ومومباي، كما يؤثر في بغداد والرياض ودمشق[1].

عرَف الشرق الأوسط تنوعًا كبيرًا جدًا في الأنظمة والبنى السياسية في إطار الإمبراطوريات والممالك الكبرى التي يمتد تاريخها

(1) جيمس ويلي، من محاربين إلى سياسيين: الإسلام السلفي ومفهوم السلام الديمقراطي، سلسلة محاضرات الإمارات 123 (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، 2009)، ص 3.

ستة آلاف عام تقريبًا؛ فهنا وُلدت الديانات التوحيدية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، وهنا أيضًا ازدهرت الحضارتان الإغريقية والهيلينية وتطورتا، وهذا ما بدأ يمّحي اليوم من الذاكرة[2].

في وقت تحتل فيه منطقة الشرق الأوسط الجبهة الوسطى من جبهات الحرب العالمية على الإرهاب، يبرز التطرف الإسلامي العالمي في هذه المنطقة التاريخية التي يتوافر فيها أكثر من 60 في المئة من احتياطيات النفط العالمية المؤكَّدة. ونظرًا إلى أن هذه المنطقة ما زالت تمثّل بؤرة الصراع العالمي، يمكن أن يكون للتطرف الجهادي المنفلت أسوأ العواقب، حيث يكتسب أمن الجبهة الوطنية بالنسبة إلى الدول الصناعية أهمية بالغة؛ إذ يُبذَل جهد ملموس لاحتواء اللب الإسلاموي الملهم والعملياتي وإصلاحه وتدميره، كونه يكتسب مغزى استراتيجيًا بارزًا في الشرق الأوسط[3].

هناك من يرى أن إعادة تكوين منطقة الشرق الأوسط تمت على حساب مواطنيها، عندما صرف الناس أكثر من نصف قرن بعد نهاية الإمبراطورية العثمانية على تأسيس البنى التحتية، قبل أن ينتقلوا إلى مرحلة ثانية من مراحل البناء والإنتاج التي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، على الرغم من أنها سارت بوتيرة بطيئة وغير فاعلة ولا ترقى إلى مستوى الطموح، في حين أصبح العراق اليوم مهدَّدًا بالتقسيم بعد أن انتقل من كيان ذي ثلاث ولايات إلى دولة واحدة منذ نحو قرن من الزمن. كما يتعرض لبنان لمحاولات إضعاف

---

(2) جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط: من الأزمنة القديمة إلى اليوم (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010)، ص 64.

(3) ويلي، ص 4.

دولته وإفراغ مؤسساتها، في الوقت الذي امتدت فيه التغييرات لتطاول تونس ومصر وليبيا، ونشب النزاع في اليمن وسورية حتى باتا مهدَّدين بالتمزق. ولعل رغبة المواطنين في أغلبية البلدان العربية في إحداث التغيير في مجتمعاتهم هي التي أنتجت ما سُمِّي «الربيع العربي»، ولم تنتقل من مرحلة إلى أخرى بشكل تدريجي، بل كانت مباشرة وشاملة نتيجة تراكمات السياسات الفاسدة لمعظم الحكومات العربية طوال عقود مرت على استقلال بلدانها من الاستعمار والهيمنة الغربيين[4].

تدور إشكالية البحث حول مسعى الوصول إلى إجابات عن تساؤلات عدة، من بينها: من هم هؤلاء الجهاديون المتطرفون في أوروبا بصورة عامة، وفرنسا بصورة خاصة؟ ما هي بؤر الإرهاب المتطرف ومنابع تغذيته في منطقة الشرق الأوسط؟ ما هي تداعيات عودة الجهاديين المتطرفين إلى بلدانهم بعد مشاركتهم في القتال؟

في خضم ما يحصل من انتشار للأفكار المتطرفة في صفوف الشباب، وانضمام عدد كبير منهم إلى القتال في صفوف تنظيمات متطرفة في منطقة الشرق الأوسط، ومن ثم عودتهم إلى أوروبا، بدأت هذه الحوادث كلها تـثير القلق في الأوساط الغربية.

كما يطرح هذا البحث في إشكاليته، بعد تحليل شخصيات عدد من الجهاديين الفرنسيين في العراق وسورية، تساؤلات عن ماهية الأسباب والدوافع الحقيقية لانضمام المتطرفين إلى الحركات الجهادية المتطرفة في هذين البلدين بشكل خاص.

(4) Antoine Sfeir, *L'Islam contre l'Islam: L'interminable guerre des chiites et des sunnites* (Paris: Grasset, 2013), p. 155.

يتضمن هذا البحث أربعة فصول: يتناول أولها تعريفًا لمصطلحات ومفاهيم هي الإسلام والإسلاموية والجهاد والجهاديون. ويتطرق ثانيها إلى نشأة الإسلام في أوروبا ودور المهاجرين المسلمين في انتشاره وتمدده، في حين يتحدث ثالثها عن التطرف الإسلامي في فرنسا وحركة الإسلامويين الفرنسيين المتطرفين نحو منطقة الشرق الأوسط، وتحديدًا نحو العراق وسورية. أما الفصل الرابع، فخُصِّص لتناول إجراءات فرنسا في مواجهة ظاهرة الجهاديين الفرنسيين، ولا سيما العائدين منهم إليها من مناطق النزاع، من مثل إصدار تشريعات جديدة وتنفيذ ملاحقات قضائية وإلى ما هنالك.

نظرًا إلى الوضع الراهن في منطقة الشرق الأوسط، يَسهُل انتقال الجماعات الإرهابية إليها كونها تربة خصبة لاستقبال هذه الجماعات، ومن ثم عودة عدد من أفرادها إلى بلدانهم التي جاءوا منها بعد مشاركتهم في القتال، بسبب بيئتها الأيديولوجية وتنوعها الديني والمذهبي والعرقي وطبيعة النزاعات التي تدور فيها. لذا، سوف يمثل هذا الأمر خطرًا محدقًا بتلك البلدان، وبالتالي سيعرّضها لاحتمالات شن هجمات إرهابية ضدها، وهذا ما يقلق اليوم البلدان الأوروبية عمومًا، وفرنسا خصوصًا.

لذلك، تُعتبر مواجهة مد الجهاديين الغربيين، ولا سيما الآتين من منطقة الشرق الأوسط إلى أوروبا، وفي مقدمهم العائدون من المشاركة في القتال، مسألة مهمة تخطط لها الدول الأوروبية وتسعى إلى مواجهتها مجتمعة، بالنظر إلى أن اتفاقية «شنغِن» تسمح للأشخاص بالتنقل بين بلدانها بحرية. دفعها هذا الأمر أخيرًا، بعد الهجمات الإرهابية في باريس وكوبنهاغن في عام 2015، إلى

تشديد التنقل بين دولها، واتخاذ إجراءات أخرى سنتناولها في هذه الدراسة بشيء من التفصيل.

فضلًا عن ذلك، يقدم البحث رؤية وحلولًا مقترحة ضمن فرضيات تتناول سبل الحد من مخاطر الإسلام المتطرف في أوروبا عمومًا، وفي فرنسا - مدار الدراسة والبحث - خصوصًا، وماهية الوسائل الناجعة لوقف تنامي أعداد الناشطين المتطرفين في الغرب، وسبل الحد من توسعهم وتمدد حركتهم نحو أماكن النزاع الحالية في منطقة الشرق الأوسط، ومن ثم تقليل احتمال قيامهم بهجمات إرهابية ارتدادية في البلدان الأوروبية التي يقيمون فيها تحت مسميات إسلامية.

وليد الزيدي

كانون الثاني/ يناير 2016

الفصل الأول

مصطلحات ومفاهيم

أولًا: الإسلاموية والإسلامويون

ورد مصطلح «الإسلاموية» أول مرة في قاموس أكسفورد في عام 1747، لكنه اختفى من اللغة الإنكليزية مع مطلع القرن العشرين، وتحديدًا عندما أكمل المستشرقون الموسوعة الإسلامية، في حين يعود استخدامه في اللغة الفرنسية إلى القرن الثامن عشر، حين اعتُبر ترجمةً للفظ Islamiste المختلف عن لفظ Islamique. بلغ هذا المصطلح من الانتشار في اللغة الفرنسية مبلغه في سبعينيات القرن العشرين، وما لبث أن انتقل إلى الإنكليزية في منتصف ثمانينياته. أما في اللغة العربية، فلا دلالة على استخدام سابق للفظ «إسلاموي»، بل جرى تداوله في العربية مفردة على وزنَي «فعلوي» و«فعلوية»، كما ترددت - على سبيل المثال - مفردة «علمانوية»(1).

تطور تعريف هذا المصطلح في خلال العقود الثلاثة الماضية مع تغيير الأوضاع والمستجدات السياسية؛ إذ يُعرّف قاموس لاروس الفرنسي الصادر في عام 1989، «الإسلاموية» (L'Islamism) بأنها: «حركة سياسية دينية تعمل على الدعوة إلى أسلمة كاملة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ...إلخ»، في حين يُعرّف القاموس نفسه «الإسلامويين» (Les Islamistes)

(1) محمد مختار قنديل، «مفهوم الإسلاموية وما بعد الإسلاموية»، الشرق الأوسط، 17/ 8/ 2014.

بأنهم: «المنتسبون إلى الإسلاموية، أو من هم من أنصارها»[2]. ويُعرّفها قاموس لاروس الحديث الصادر في عام 2015، بأنها: «حركة تسعى إلى توحيد تيارات الإسلام، بهدف اعتماد عقيدة سياسية حقيقية من خلال التطبيق الصارم للشريعة وإنشاء دولة إسلامية متشددة»[3].

في هذا السياق، يقول برونو إيتيان: «اعتمدتُ مصطلح 'الإسلاموية المتطرفة'، بعد أن أخذتُ الكلمة الأولى من هذا الأخير الذي يعبّر عن الرجوع إلى عقيدة إسلام الجذور، والكلمة الثانية من معنى المصطلح الأميركي الثوري تقريبًا: 'الإسلام المتطرف سياسيًا'»، مردِفًا: «إنني لا أستخدم مصطلح 'الإسلام السياسي'، لأن كلمة 'سياسي' التي نستخدمها في الغرب منذ زمن الإغريق ليست موجودة في القرآن، ذلك أن كلمة 'سياسة' المستخدَمة حاليًا تحمل معنى حديثًا لا يمكن استخدامه في هذا المجال»[4].

في هذا الصدد، تشير أغلبية الآراء إلى أن الإسلاموية تعمل على دمج الدين بالسياسة، الأمر الذي دعا مباحث عدة في علم الاجتماع السياسي إلى تفسير التداخل بين السياسة والدين، وهذا ما يُطلَق عليه «الإسلام السياسي» الذي يحمل نزعة استخدام الدين باعتباره وسيلة للوصول إلى السلطة[5]. ولعل الإسلاموية

---

(2) *Le Petit Larousse illustré: Dictionnaire* (Paris: Librairie Larousse, 1988), p. 537.

(3) Larousse, http://www.larousse.fr/.

(4) Bruno Etienne, *L'Islamisme radical* (Paris: Hachette, 1987), p. 21.

(5) علي خليفة، «المواطنة والدولة في الإسلام: في نقد الإسلام كنظام سياسي»، السياسة الدولية، العدد 199 (كانون الثاني/ يناير 2015)، ص 56.

تقع ضمن هذا المفهوم الذي يتوق إلى قصر السلطة السياسية على رجال الدين ومشاركتهم في صنع القرار السياسي وإدارة الدولة.

يُذكر هنا أن ثمة خلافًا حتى بين المفكرين الفرنسيين أنفسهم في شأن مفاهيم «الإسلام والإسلاموية، والإسلاميين والإسلامويين»؛ فها هو مكسيم رودنسون، مثلًا، يقول: «لمتُ مؤخرًا جيل كيبل[6] الذي كان إلى حد ما تلميذي، لأنه أشاع استخدام كلمة 'الإسلاموية' للدلالة على الأصولية الإسلامية الحالية. إن نظرتَ في قاموس ليتري (*Littré*)، فستجد أن «الإسلامية» تعني الإسلام، إذًا هي مرادف. بالتالي، يؤدي الحث على استخدام هذه الكلمة للدلالة على الأصولية الإسلامية الحالية إلى البلبلة، وهذا ما حصل، إذ ترى الصحافيين يتوهون بين مفهومَي 'الإسلاموية' و'الإسلام'»[7].

على الرغم من هذا الرأي الذي قدمه رودنسون، فإني أميل إلى رأي كيبل لأنه استخدم مفردة «الإسلاموية» ولم يستخدم «الإسلامية»، وعنى بها الإسلام المحدَث الذي يمزج الدين بالسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من نواحي الحياة، وميّزه من الإسلام الذي تُمارَس شعائره منذ ظهوره بشكلها الاعتيادي

(6) مفكر فرنسي، يشغل منصب رئيس برنامج الدراسات الشرق الأوسطية والمتوسطية في معهد الدراسات السياسية في فرنسا، حيث يشرف على البرامج الأكاديمية في شأن العالمين العربي والإسلامي. وهو أيضًا مؤسس شبكة «يوروغولف» (Eurogolfe) في عام 2003، ويشغل حاليًا منصب رئيس مجلس إدارتها.

(7) مكسيم رودنسون، بين الإسلام والغرب: حوارات مع جيرارد د. خوري، ترجمة نبيل عجّان (بيروت: دار كنعان للدراسات، 2000)، ص 254-255.

من دون تطرف، كما سبقت الإشارة إليه في تعريف قاموس لاروس الفرنسي المذكور آنفًا.

في هذا الصدد، ثمة من يرى إلى جانب الإسلام التقليدي الورع في فرنسا، أنه قد تطوَّر إسلام إصلاحي مُجدِد؛ هذا الذي انطلق من منطقة الشرق الأوسط في نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور حركة رسمت نهضة ثقافية وسياسية ودينية نشأت في مصر في القرن التاسع عشر ثم امتدت إلى جميع أنحاء العالم العربي، في الوقت الذي كانت الإمبراطورية العثمانية تشعر فيه بأنها ضعيفة سياسيًا. وعندها برز اتجاهان: **الأول** هو الإصلاح الإسلامي الذي حمله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، **والثاني** هو التنوير السياسي في العالم العربي[8].

هكذا، نجد أن الاستخدام السياسي للإسلام من كثير من الناشطين الإسلامويين هو بمنزلة احتجاج على الحداثة باعتبار أنها تخل بالهوية وتحث على التغريب الأميركي وليس التغريب على إطلاقه[9]، في وقت كان فيه التاريخ والثقافة في أغلبية المجتمعات قد استعادا مكانتهما بعد الثورة التقانية. في هذا السياق، يرى آن نيفان «أن مسألة الإسلاموية والإسلامويين ما عادتا إلا كاشفًا لقضية أكثر تعقيدًا تُدار على المستوى العالمي، تلك المتعلقة بتنظيم الاتصال، أو الالتزام بمعرفة الآخر، ولحل مسألة غياب

---

(8) Leyla Arslan et Mohamed-Ali Adraoui, *L'Islam en France: Pour les nuls actu* (Paris: First-Grund, 2013), p. 81.

(9) Sophie Viollet, *L'Islamisme radical et l'occident: Les logiques du ralliement aux formations islamistes dites radicales dans les sociétés occidentales*, Essai (Paris: éditions du Cygne, 2013), p. 37.

التواصل، ولتعلم كيفية التفاوض وبناء التعايش السلمي معًا بعيدًا عن استخدام العنف والقوة»[10].

من ناحية أخرى، ثمة طائفة كبيرة من المفكرين ترى أن الإسلاموية قدر العرب، ويعود السبب إلى أن الإسلام هو الماضي الذي هم واقعون من خلاله في شركه، أو منعَّم عليهم بسببه. يرد عزيز العظمة بالقول: «إن هذه الرؤية مستندة - كما هو الأمر كذلك مع رؤى أخرى - إلى افتراضات القصور الطبيعي في المجتمعات العربية»[11]، مع أن ذلك مناف للحقائق ولطبيعة الإسلام بشكل عام ولتكوين المجتمع العربي بشكل خاص.

خلاصة القول، يمكننا تعريف «الإسلاموية» أو «الأصولية الإسلامية» في هذه الدراسة بأنها محاولة لتسييس الرموز والتقاليد الدينية واستخدامها أيديولوجيًا؛ إذ يدّعي الأصوليون الراديكاليون احتكارهم الحقيقة المطلقة الكاملة، وهم في ذلك يتشبهون بالطليعة الثورية للحركات الأيديولوجية الشمولية في الغرب، ولا يتسامحون مع أي تفسير بديل للواقع، الأمر الذي يفضي إلى تطور طابع شمولي سلطوي للنظام المجتمعي الذي يحلو للراديكاليين تطبيقه بهذا البُعد[12].

---

(10) Anne Nivat, *Islamistes: Comment ils nous voient*, Collection Litt Gene (Paris: Fayard, 2006), p. 19.

(11) عزيز العظمة، «هل الإسلاموية قدر العرب؟»، ترجمة حمود حمّود، مركز البوصلة - شرق المتوسط (برلين)، 2014، ص 18-20.

(12) بومدين بوزيد، وآخرون، قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر، سلسلة كتب المستقبل العربي 18 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 183.

أما في شأن ما سُمِّي «مابعد الإسلاموية» (post-Islamism) أو «الأصولية الجديدة»، فهناك من يرى أن الإسلاموية برزت لأن السياسة لا تعمل بصورة مرْضية، فأرادت أن تحل محل السياسة[13]، لكن الإخفاقات المتكررة للإسلاموية في استخدام دمج السياسة بالدين ولّدت ضرورات لظهور تيار «مابعد الإسلاموية» الذي تبنّاه جيل جديد من السياسيين الإسلاميين، وهو ينادي بفكرة إقامة دولة مدنية.

ثانيًا: الجهاد والجهاديون

الجهاد في اللغة: المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّـهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ (الحج: 78). والجهاد شرعًا: قتال من ليس له ذمّة من الكفار[14]. وهدف الجهاد الأساس، بحسب ما جاء في **موسوعة الحركات الإسلامية**، هو «تقرير وإقرار ألوهية الله في الأرض ونفي غيرها من الألوهيات والأديان من دون الله»[15].

من هذا المنطلق، درس المفكرون والكتاب الفرنسيون مفردة «الجهاد» وتوقفوا أمامها كثيرًا؛ فالكاتبة الفرنسية آن كليمونتين لاروك تعرّفها، بحسب وجهة نظر الإسلامويين، بأنها «كل

(13) Viollet, p. 136.

(14) المعاني: لكل رسم معنى (معجم متوافر إلكترونيًا)، معجم عربي - عربي، في:

http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/.

(15) أحمد الموصللي، **موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 75.

جهد يُطوَّر في سبيل الله، خصوصًا التزام الأمة الجَماعي نشر الإسلام وقيادة الحرب ضد البلدان الكافرة». في حين تُعرّف المجاهدين - أي المقاتلين - بأنهم «مجموعة من الحركات الجهادية غير المتجانسة، المدافِعة عن الجهاد في أفغانستان أولًا، التي تمكنت من إيجاد تمثيل أنموذجي من مجموعة من الحركات الإسلاموية المتطرفة». وترى لاروك أن هذا المصطلح استخدمه منذ ذلك الحين كثير من الجهاديين المنتمين إلى ما يسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)[16].

أما الكاتب الفرنسي فرانسوا فيغنو، فيتحدث في كتابه **فرنسا الجهاد** *(La France du Djihad)* قائلًا: «إنه هجاء يثير جدالًا بالفعل، بحسب المنطقة والبلد أو المدينة، حيث هو مكتوب أو مقروء، إنه فعل مرتبط بأسوأ فظائع المتعصبين في العراق وسورية، ويثير نقاشات واسعة في الصحافة ووسائل الإعلام المتلفزة. في المقابل، تُعرَّف هذه المفردة من وجهة نظر الإسلامويين ووفقًا لما تذكره وسائل الإعلام، بأنها 'حرب مقدسة عند الجهاديين، لها هدف الدفاع عن الإسلام'». ويضيف فيغنو: «ليس هذا المصطلح فرنسيًا، وينبغي ألا يُستخدَم في الوثائق الرسمية، على الرغم من الاستخدام المنهجي لهذه الكلمة، إذ استخدمته الحركات الإرهابية في الأعوام الأخيرة في لغتها من أجل تهديد الغرب وتبرير هجماتها»[17].

لعل هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام والتعميم؛ إذ إن أغلبية

---

(16) Anne-Clémentine Larroque, *Géopolitique des islamismes*, Que sais-je? (Paris: Presses Universitaires de France, 2014), pp. 120-123.

(17) François Vignolle et Azzedine Ahmed-Chaouch, *La France du Djihad* (Paris: Editions du moment, 2014), pp. 8-9.

المفكرين والكتّاب الغربيين، خصوصًا الأمنيين منهم، تستخدم مفردات «الجهاد والجهاديين والجماعات الجهادية»، فضلًا عن «الإسلاموية المتطرفة والإسلامويين المتطرفين والجماعات الإسلاموية المتطرفة»؛ ففي استخدام مفردات الجهاد هذه إساءة إلى الجهاد الحقيقي الذي شرّعه الإسلام من دون إراقة دماء الأبرياء أو استباحة الأعراض والأموال، وهذا ما أكده أيضًا المفكر الفرنسي مكسيم رودنسون، في إجابته عن سؤال وُجِّه إليه: «في كتابك الإسلام: سياسة وعقيدة، تتساءل عن 'الأخلاق والالتزام'. هل تستطيع أن توضح معنى الجهاد لأنه غالبًا ما يُفسَر بشكل خاطئ؟»، فأجاب: «يشكّل الجهاد فعلًا موضوع جدل عادي تمامًا بين المدافعين عن الإسلام والعلماء الموضوعيين الذين هم غالبًا ضد الإسلام. ويقوم الموقف الدفاعي الذي يتخذه المسلمون على القول إن الجهاد لا يعني الحرب المتواصلة، لأن المعنى الأصلي للكلمة هو 'الجهد'، وهم محقون في هذه النقطة الأخيرة. وبالتالي، الجهاد هو عبارة عن جهد في اختراق أسرار العالم في ضوء الإسلام، وهذا لا يفرض على الإطلاق الذهاب وذبح الناس»[18].

في هذا الصدد، يرى الكاتب الفرنسي ستيفان لاكروا أن ورثة الصحوة الإسلاموية المعلَنين والمتألفين من العلماء حصرًا، وكما يسميهم «الجهاديين الجدد»، هم من يتبنون الدعوة إلى القطيعة مع الغرب - وهي القطيعة التي تتخذ عندهم شكل الحرب الشاملة - حيث شهدت أواخر التسعينيات ارتسام الخطوط العريضة للتقارب بين هؤلاء الشيوخ الجهاديين الجدد وأنصار الجهاد العالمي،

---

(18) رودنسون، ص 248.

«أعضاء شبكة أسامة بن لادن» الذين شكّلوا في ما بعد ما سُمِّي «تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية»[19]. ولعل هذا المفهوم يمثّل الخطر الحقيقي باتجاه إطلاق العنان لمهاجمة الغرب.

يُبسِّط المستشرق الفرنسي أوليفييه كاريه مفهوم «الجهاد» وفقًا لرؤية سيد قطب، بالقول: «الجهاد في الإسلام هو جهاد في سبيل الله. إنه جهاد لتقرير ألوهية الله في الأرض، ولإقامة مملكة الله على الأرض، ومن ثم ينبغي له أن ينطلق في الأرض كلها لتحرير الإنسان كله. وذلك هو الفرق بين ما هو داخل ضمن حدود الإسلام وبين ما هو خارج عنها؛ أي إن الجهاد يمتد إلى ما يُسمى 'دار الحرب' التي هي أراضي البلدان التي لا تدين بالإسلام، وفي مقدمها البلدان الغربية»[20].

في هذا السياق، تشير كاري ويكهام في كتابها *(The Muslem Brotherhood: Evolution of an Islamic Movement)* **الإخوان المسلمون: تطور حركة إسلامية** إلى «... أن الجيل الأول المؤسِّس للجماعة كان أكثر تجسيدًا للفكرة الإسلامية، ولديه شكٌ وتوجس من التأثيرات السياسية والثقافية كلها المقبلة من الغرب. جعلت هذه الرؤى الفكرية قادة الجماعة يعتقدون أنهم في مهمة دينية لمواجهة التمدد العلماني والأفكار الغربية والسعي إلى تأسيس مجتمع يستقي نظمه وأفكاره كلها من الشريعة»[21].

---

(19) Stéphane Lacroix, *Les Islamistes saoudiens: Une insurrection manquée*, collection Proche-Orient (Paris: Presses Universitaires de France, 2010), pp. 332-334.

(20) أولفييه كاريه، في ظلال القرآن: رؤية استشراقية فرنسية، ترجمة محمد رضا عجاج (القاهرة: الزهراء للنشر، 1993)، ص 19-22.

(21) Carrie Rosefsky Wickham, *The Muslim Brotherhood: Evolution of an Islamist Movement* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2013), p. 22.

أما مصطلح «مجاهد»، فيعرّفه أنطوان صفير بأنه «المقاتل الذي يقوم بالجهاد باسم الله»[22]. ومهما اختلفت تعريفات هذين المصطلحين، فهي تتجه - بحسب وجهة نظر الجماعات الأصولية - نحو اعتبار الجهاد «فرضًا من فروض الله، ووسيلة من وسائل التغيير من أجل إصلاح المجتمعات من دون استثناء، بدءًا بالمجتمع الإسلامي والعودة به إلى الإسلام الصحيح النقي إسلام الجذور، كما يراه الإسلاميون».

من المثير أننا لا نجد في خطابات قادة الإسلاموية إلا لهجة القتال ونبرته واستخدام العنف تحت مسمى «الجهاد». في هذا السياق، يقول أحدهم: «إزاء المصير الرهيب الذي أعدّه الحلف الشيطاني الدولي وينفّذه لتدمير ما بقي من كيان أمتنا ووأد كل أمل لنهضتها، ليس أمام هذه الأخيرة من عاصم غير الإيمان والعمل، غير الجهاد»، مستشهدًا بقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 36)[23].

تبعًا لما ذُكِر، يعزو كثيرون ظهور الإسلاموية في البلدان الإسلامية إلى السياسات الكارثية للأنظمة التي تحكم هذه البلدان، في حين أنهم يُرجعون انتقال الإسلاموية إلى العالم الغربي إلى سياسات الهجرة والاندماج غير الكفوْة[24].

---

(22) Antoine Sfeir, *Al-Qaïda menace la France*, collection actu (Paris: Le Cherche midi, 2007), p. 121.

(23) ما قدّمه الشيخ راشد الغنوشي من تصوّرات حين أجاب عن سؤال «ما العمل الذي ينبغي أن يقوم به المسلمون اليوم؟». لمزيد من المعلومات، انظر: زكي أحمد، «النظام العالمي الجديد في تصّور الإسلاميين العرب»، المستقبل العربي، السنة 4، العدد 157 (آذار/ مارس 1992)، ص 139.

(24) Sfeir, *L'Islam*, p. 100.

في السياق ذاته، يتساءل غابرييل مارتينيز في كتابه الإسلام، الإسلاموية والغرب *(L'Islam, l'islamisme et l'Occident)* عن مصدر الإسلاموية بالقول: «هل هي نتاج إسلام الأوائل والهروب إلى التاريخ، أم تعني المضيّ نحو الغد، بنطاقه الواسع، لكن المقيّد في الزمان والمكان أربعة عشر قرنًا، التي انتشرت بمغامرة المسلمين، والتي تدعو إلى شريعة الله والتأسي بالنبي؟»[(25)]. ضمن إطار الإسلاموية، وفي سياق محاولات الإسلامويين فرض الإسلام السياسي، يشير صاموئيل هنتنغتون في كتابه صدام الحضارات إلى أن الإسلاموية «عبارة عن إمبراطورية مخلخلة»، مؤكّدًا غياب «الدولة الرائدة» التي تدير العالم الإسلامي وتتعامل باسمه[(26)]. في المقابل، هناك من يرى أن ظاهرة يقظة الإسلام وتطرف عدد من المؤمنين به صعبة على هؤلاء أنفسهم، لأن تطور الإسلام في ما مضى جرى بلا معرفة، إذ بدت هذه الظاهرة أشبه بالمفاجأة التي حيّرت الجميع في وقت كان فيه الإسلام على مسار الخمول والتراجع منذ قرون - وتحديدًا منذ القرن الحادي عشر - تبعًا لبعض المتخصصين[(27)].

أما أيديولوجية الإسلامويين السلفيين، فتعد مابعد حداثية، بمعنى أنها تمضي إلى ما وراء المناقشة العقلانية والمفاوضات

(25) Gabriel Martinez-Gros et Lucette Valensi, *L'Islam, l'islamisme et l'Occident: Genèse d'un affrontement*, collection points histoire (Paris: éditions du Seuil, 2013), p. 9.

(26) Samuel P. Huntington, «Le Choc des civilisations,» dans: Martinez-Gros et Valensi, p. 38.

(27) Antoine Sfeir, *Les Réseaux d'Allah: Les filières islamistes en France et en Europe*, La nébuleuse Ben Laden (Paris: Plon, 2012), p. 70.

الهادفة. يقسم أولفييه روا في كتابه الإسلام المعولم *(L'Islam mondialisé)* الحركة السلفية ثلاثة أقسام: سلفية التقوى والسلفية السياسية والسلفية الثورية[28]، وهذه الأخيرة هي السلفية الجهادية. أُطلِق هذا المصطلح منذ نهاية ثمانينيات القرن الماضي على بعض جماعات الإسلام السياسي التي تتبنى **الجهاد** منهجًا للتغيير، وتيارًا فكريًا مميزًا في عهد الرئيس المصري الأسبق أنور السادات. يعلن هذا التيار أنه يتبع منهج سلف المسلمين الأوائل، وأن **الجهاد** أحد أركانه[29]. اعتقد روا أن المجتمعات الليبرالية تمثّل التربة الخصبة والأرضية الملائمة لانتشار «الأصولية الجديدة» (néofondamentalisme) في البلدان الأوروبية وفي مقدمها فرنسا، في حين نجد أن ثمة رؤية متطرفة ترى «أن المشكلة في الإسلام، كما في غيره من الديانات وحتى في الأيديولوجيات الكبرى، بدأت بوصفها حركات إصلاحية تجديدية، لكنها تحوّلت إلى نزعات محافظة تقليدية تعاني هيمنة ذوي النزوع الأرثوذكسي»[30].

استخدم محمد أركون هذا التعبير؛ إذ اشتقه من الأرثوذكسية بوصفها نزعة متطرفة، من أجل الإشارة إلى جميع الجماعات المحافظة والمتطرفة التي لا تقبل بالتجديد وترغب في الإبقاء

(28) Olivier Roy, *L'Islam mondialisé*, collection points essais (Paris: éditions du Seuil, 2002), p. 170.

(29) «سلفية جهادية»، ويكيبيديا، تمّت معاينة الموقع في 28/ 1/ 2016، في: https://goo.gl/DD3BGc.

(30) صلاح الجابري، وآخرون، **الإصلاح الديني والسياسي: إعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية** (دمشق: دار الزمان، 2011)، ص 18.

على الأوضاع بشكلها التقليدي، بل تنظر إلى كل تجديد على أنه شكل من أشكال البدع والهرطقات[31].

نظرًا إلى اختلاف وجهات النظر في شأن إيجاد تعريفات محددة لهذه المصطلحات والمفاهيم، لا عند الغربيين فحسب، بل عند المسلمين أيضًا، يترك هذا الاختلاف، بحد ذاته، الأبواب مشرَّعة للاجتهاد في شأن استخدامها بشكل سلبي يسيء في كثير من الأحيان إلى الإسلام الصحيح النقي.

---

(31) محمد أركون، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة هاشم صالح، ط 3 (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998)، ص 108.

الفصل الثاني

نشأة الإسلام في أوروبا
ودور المهاجرين المسلمين

أولًا: الإسلام الأوروبي أم الإسلام في أوروبا؟

نشأت في الغرب تجمعات إسلامية مهاجرة، تعمل على توحيد أناس مشتَّتين ومتباينين. وضمن هذه التجمعات، نجد أقلية معينة تعاني حاجز الهوية والانغلاق على الذات، وتتطلع أغلبيتها إلى تكوين أمة جديدة واعدة، لكن منطوية على نفسها، تنادي بتكوين نطاق صحي حول المجتمع وطرد الآخرين إلى الأطراف، لكن يسعى بعضهم إلى تشكيل أمة جديدة مقاتلة وقطع الصلة بالمجتمع الكافر - من وجهة نظرهم - من أجل الحفاظ على الطهارة الذاتية والدفاع عن النفس بخلاف الأنموذج الأول الذي يعتني أكثر بالزيادة من طريق ابتكار التحفظ، ومن ثم التوجه إلى القتال وتدمير الآخر[1].

تشير الإحصاءات إلى تعاظم الوجود الإسلامي في أوروبا بشكل ملحوظ، ويتزايد الاهتمام بالأجيال المسلمة الناشئة في المجتمعات الأوروبية بوصفها المحدِّدة لملامح مستقبل هذا الوجود. يقارب عدد المسلمين في الاتحاد الأوروبي عشرين مليون نسمة، أي ما يزيد على ستة في المئة من سكان دوله الخمس عشرة. ويذهب بعض التقديرات إلى تأكيد أن

---

(1) Sophie Viollet, *L'Islamisme radical et l'occident: Les logiques du ralliement aux formations islamistes dites radicales dans les sociétés occidentales*, Collection Essai (Paris: éditions du Cygne, 2013), pp. 112-113.

عدد المسلمين في أوروبا يصل إلى أربعين مليون نسمة. ومع هذا الوجود المتعاظم بقوة مثيرة، تسمع دعوات صادرة عن الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا تطالب بالاهتمام بالأسرة وزيادة معدلات التكاثر من أجل كبح جماح الوجود الأجنبي، والإسلامي بصفة خاصة، بل لا يتردد حزب الجبهة الوطنية الفرنسي العنصري في إطلاق أجراس الخطر من عواقب زيادة النسل عند مسلمي فرنسا، ويزعم أن المسلمين في شمال فرنسا ربما يطالبون بالانفصال يومًا ما[2].

تجدر الإشارة هنا إلى أن أغلبية المسلمين الأوروبيين، ولا سيما في فرنسا، هي من أصول شرق أوسطية ومغاربية[3]، وهي أكثر اهتمامًا بالجماعات العنفية من باقي دول الاتحاد الأوروبي، بحسب تقرير صادر عن الجماعات العنفية في عام 2008، وربما قضية الجهاديين في الإعلام الفرنسي هي الأكثر حضورًا. يفيد هذا الأمر في معرفة «الظاهرة الجهادية» في أوروبا عمومًا وتحليلها، خصوصًا أن التجنيد والتكتيكات المتبعة من

(2) انظر: «الموسوعة المسيحية: عدد المسلمين في العالم ارتفع 7 في المئة خلال القرن الماضي»، الشرق الأوسط، 22/ 3/ 2001.

(3) وفقًا لدراسة للمعهد الوطني للدراسات الديموغرافية (INED)، تتحدّر الأغلبية الساحقة من مسلمي فرنسا من دول المغرب العربي؛ إذ تبلغ نسبتها 82 في المئة من إجمالي مسلمي فرنسا: 43.2 في المئة من الجزائر، 27.5 في المئة من المغرب، 11.4 في المئة من تونس، 9.3 في المئة من أفريقيا جنوب الصحراء، 8.6 في المئة من تركيا، وتحول 0.1 في المئة من الفرنسيين إلى الإسلام (حوالى 70 ألف فرنسي). انظر: «الإسلام في فرنسا»، ويكيبيديا، شوهد في: 23/ 1/ 2016، في:

https://goo.gl/t8Io0G.

التيار الجهادي - السلفي، ما عادت كما كانت في ظاهرة الجهاد في أثناء حرب العراق، ومعرفة أهم الآليات المتبعة للحد من الظاهرة أمر ضروري[4]. بدأ الحديث عن إسلام أوروبي، مع ظهور حوادث خارجية وداخلية عدة، عملت على قولبة جديدة لمفهوم الإسلام في أوروبا.

يقول السوسيولوجي الفرنسي أوليفييه روا[5]: «لا شك في أنه لم يكن هناك حديث كثير عن الإسلام في فرنسا إلا منذ العشرين عامًا الأخيرة: الثورة الإسلامية الإيرانية، الجماعة الإسلامية في الجزائر، هجمات باريس وليون في عام 1995، قضية الحجاب في المدارس والجامعات، طالبان أفغان ...إلخ. حكايات صحافية وخطابات علمية تفرض بانتظام سؤالًا عن طبيعة هذا الإسلام الذي يطارد أوروبا اليوم»[6].

لكن كانت المحصلة النهائية أن نشأت في أوروبا بيئة إسلامية متفردة، سمّوها «الإسلام الأوروبي»، تتوارى فيها الهويات القومية للجوالي المختلفة تحت لواء الهوية الإسلامية الواحدة. ويظهر ذلك بوضوح في الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين المسلمين، حيث ينشط، على سبيل المثال، الانضمام

---

(4) أحمد صلال، «كيف تقاوم فرنسا «الظاهرة الجهادية» بين مسلميها؟»، أورينت نت، 15/ 9/ 2014، في:
https://goo.gl/YgpNB4.

(5) يُعَدّ روا أفضل من كتب عن مسلمي أوروبا، وهو يلقي باللائمة على السياسة التي تبنتها كل من إنكلترا وفرنسا إزاء المهاجرين.

(6) Olivier Roy, *Vers un islam européen*, collection Société (Paris: édition esprit, 1999), p. 7.

إلى حركة «التبليغ» المتشددة - وهي هندوباكستانية المنشأ[7] - بين المهاجرين المغاربة في فرنسا[8].

على الرغم من أن كتّابًا فرنسيين كثرًا يرددون مصطلح «الإسلام الأوروبي» ويستخدمونه، أرى أن لا وجود لإسلام صبغته أوروبية وآخر صبغته أميركية أو آسيوية أو غيرها، بل هو الإسلام نفسه من حيث شعائره ومناسك عباداته، ويُمارَس في أنحاء مختلفة من العالم، ولكل بيئة تأثيراتها الإيجابية أو السلبية فيه، وهذه غالبًا ما تنشئ حالة من الاختلاف تبعًا للأماكن التي ينتشر فيها. لذلك، ليس إعطاء خصوصية معينة لهذه التسمية إلا بدعة غربية، ينبغي عدم الركون إليها أو التجاوب معها، حفاظًا على وحدة الإسلام ونقائه أينما كان.

---

(7) منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي، أخذ بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة يتبنى نهج الانفصال الذي يتعارض ومبادئ العلمانية والاندماج في المجتمع الفرنسي. من أبرز هذه الجماعات، الفرع الهندي الباكستاني من جماعة التبليغ التي كانت تنشط بين طبقات المهاجرين العمال وعناصر الجيل الثاني للمهاجرين ممن كانوا قليلي الاندماج في المجتمع؛ الجمعيات القريبة من الإخوان المسلمين، التي كانت تسعى إلى بسط نفوذها على الجوالي المسلمة في فرنسا وخارجها مع بقائها تحت سلطة الفرع الرئيس في مصر؛ مراكز توسيع الوهابية التي كانت تفتقد الخطابات القوية المؤثرة ونشرها، لكنها كانت تملك موارد مالية خارجية ضخمة تسمح لها بالوصول إلى أهدافها. انظر: فيليب ميغو، «فرسان العزّة.. من الاحتجاج المتطرّف إلى تهيئة الإرهاب»، مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2 شباط/ فبراير 2016، في:

https://goo.gl/052bkm.

(8) كارن أبو الخير، «ملامح الجدل الأوروبي حول الهجرة والإسلام»، السياسة الدولية، العدد 189، 2012، في:

https://goo.gl/AzmraE.

1- هجرة المسلمين إلى أوروبا

في ذروة الحرب العالمية الأولى، جندت فرنسا على نحو إلزامي عددًا كبيرًا من المسلمين في مستعمراتها في الجزائر والمغرب وأفريقيا؛ إذ نص مرسوم 14 أيلول/ سبتمبر 1916 على: «... القيام بالتشجيع على التشغيل الطوعي وإلا فالتجنيد الإجباري للجزائريين». بلغ عدد المجندين المسلمين للحرب 175.000، قُتل منهم 25 ألفًا من الجزائريين وحدهم. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، أصدرت فرنسا قانونًا، يُعَدّ استثناءً من علمانيتها، يجيز لها بناء مسجد ومعهد إسلامي (أي مؤسسة دينية) في عاصمتها بهدف مكافأة المسلمين اعترافًا بتضحيتهم في الدفاع عنها، ودُشنت هذه المؤسسة الدينية في الدائرة الخامسة في باريس خلال حفل رسمي عالمي في عام 1926[9].

سعيًا وراء إعادة بناء ما دمّرته الحرب العالمية الأولى، قرّرت فرنسا في عام 1920 جلب المزيد من العمال، فوصل عدد المهاجرين المسلمين إلى حوالى 70 ألف جزائري وعدد مماثل تقريبًا من المغاربة. وبين عامي 1940 و1945، أرسلت الحكومة الفرنسية إلى ولاة الجزائر العاصمة ووهران وقسنطينة تطلب منهم إرسال 10 آلاف عامل شهريًا، لكن استحواذ الحلفاء على شمال أفريقيا حال دون ذلك إلى حين. وبعد الحرب العالمية الثانية، تزايد عدد المسلمين ليبلغ أرقامًا كبيرة؛ فبغية إعادة التعمير وتطوير القطاع الصناعي، نص مخطط «مونيه» (Plan Monnet) على استقدام

(9) «الإسلام في فرنسا».

200 ألف من رعايا المستعمرات في مدة لا تتجاوز الأربعة أعوام. وفي عام 1952، بلغ عدد المسلمين رقمًا غير مسبوق؛ إذ تحدّث المكتب الوطني للهجرة رسميًا عن 500 ألف مهاجر، لكن شكك بعض المتخصصين في هذا الرقم، فيما أجمع جُلّهم على أن المسلمين في فرنسا باتوا يشكّلون، في خمسينيات القرن العشرين، جالية محدَّدة المعالم وواقعًا اجتماعيًا وسياسيًا بيِّن التأثير[10].

في الستينيات، عمد أرباب العمل في فرنسا إلى جلب عمال من أصول مغربية أو أفريقية من أجل توفير قوة عاملة أكثر انصياعًا؛ إذ وجد الفرنسيون، وبشكل طبيعي، أن ثمة رجالًا جاءوا من أفريقيا ليقوموا بأعمال أشد صعوبةً ومشقةً، لا رغبة لأبناء الفرنسيين في ممارستها. حدث ذلك قبل أن يتغير كل شيء في عام 1974، عندما وضعت فرنسا نهاية للعمالة المهاجرة والترخيص لجمع الشمل العائلي[11].

يُذكَر هنا أن الجنسية الفرنسية لم تُمنح لأغلبيتهم إلا في أواخر الستينيات؛ إذ بلغ تعدادهم وذويهم في 31 تموز/ يوليو 1985 زهاء 60 ألف نسمة[12]، في إحصاء صادر عن الحكومة الفرنسية في محاولة منها لتعويضهم عن بعض ما فقدوه بسبب سياساتها.

حتى بعد استقلال الجزائر، استمرت فرنسا، طبقًا لتخطيطاتها الاقتصادية، في تشجيع جلب اليد العاملة من

(10) المرجع نفسه.

(11) François De Closets, *La France à quitte ou double: Pour en finir avec 40 ans de mensonges*, collection documents (Paris: Fayard, 2015), pp. 43-44.

(12) *Le Monde* (octobre 1985).

مستعمراتها ومحمياتها القديمة، وبلغ ذلك ذروته إبان العقود الثلاثة 1945-1974 التي ازدهر فيها الاقتصاد الفرنسي وحقق أعلى مستوى له، مستدركًا ما خرّبته الحرب ومتفوقًا على كثير من الدول الغربية. ولعل العمال الوافدين كانوا في معظمهم قد أتوا من المغرب العربي، وأغلبيتهم من غير المتزوجين أو ممن تركوا زوجاتهن في بلادهم على أمل العودة القريبة. واستمرت الهجرة في التزايد حتى «الصدمة النفطية» في عام 1973، حين كُبح نشاط الاقتصاد وضعفت معه الهجرة ثم أُوقفت رسميًا في عام 1974. وبعد شكاوى ومرافعات ونقاشات محتدمة في البرلمان، أقرت فرنسا بحق جمع شمل العوائل، وسمحت لزوجات العمال وأبنائهم بالمجيء إلى أرضها[13].

كان يُنظر إلى أبناء الجيل الأول من المهاجرين أنهم مهاجرون موقتون سيعودون إلى بلدانهم في وقت ما، إلا أن حقبة الثمانينيات شهدت نقلة نوعية جديدة تمثلت في صعود الإسلام السياسي في دول المغرب العربي والشرق الأوسط، بالتوازي مع بدء ظهور أبناء الجيلين الثاني والثالث (على خلفية قانون جمع الشمل العائلي في عام 1974 الذي سمح للمهاجرين باستقبال عائلاتهم من دولهم الأصلية في فرنسا). ولعل هذا الأمر مثّل نقطة تحول في معادلة الإسلام في فرنسا، الذي انتقل من مرحلة السكون إلى مرحلة الصراع منذ بداية التسعينيات[14].

(13) «الإسلام في فرنسا».

(14) طارق دحروج، «إشكالية الإسلام في فرنسا: التناقض بين الأطر الرسمية وغير الرسمية»، الأهرام، 12/ 12/ 2015.

مع ذلك، واجه كثير من المهاجرين المغاربة مشكلات البطالة منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي؛ فعلى سبيل المثال، انتقل عدد كبير منهم للسكن والعمل في مدينة درو[15] (Dreux) الفرنسية في الستينيات بعد أن كانوا يعملون في المناطق الباريسية، لأن هذه المدينة تُعَدّ تجارية وصناعية، شُيّدت فيها وحولها خلال هذه المدة مناطق جديدة عدة، حتى بلغت نسبة المهاجرين 25 في المئة من عدد سكان المدينة، في حين وصلت نسبة البطالة بينهم إلى 10 في المئة، وهي النسبة نفسها التي كانت على مستوى فرنسا ككل في تلك الأعوام[16].

في أثناء تلك الفترة، احتلت القضايا المتعلقة بالهجرة بشكل عام، وبالمهاجرين المسلمين بشكل خاص، موقع الصدارة في وسائل الإعلام الأوروبية في الأعوام الأخيرة الماضية؛ إذ تشير استطلاعات الرأي بوضوح إلى أن هناك مناخًا عامًا معاديًا للهجرة والمهاجرين في البلاد الأوروبية. فبحسب استطلاع أجرته جريدة **فايننشيال تايمز** في أواخر آب/ أغسطس 2010، عبَّرت فيه نسبة كبيرة من المشاركين عن رؤية سلبية لتداعيات وجود المهاجرين في بلادهم؛ إذ عبَّر 48 في المئة من الفرنسيين عن اعتقادهم أن لوجود المهاجرين تداعيات سلبية على الجوانب الاقتصادية[17].

في هذا السياق، يقول فرانسوا دو كلوزيه إن المجتمع الفرنسي ينظر إلى المهاجرين المسلمين في فرنسا على أساس أنهم

---

(15) مقاطعة فرنسية تقع في دائرة يورو ولوار في منطقة سنتر فالد دي لوار شمال فرنسا.

(16) De Closets, pp. 97-104.

(17) *Financial Times*, 6/8/2010.

يمثّلون تيارات أصولية لا تُعَدّ جزءًا من الدين بل هي أيديولوجيا. وهذا ما يتطلب من المجتمع الفرنسي السماح للمسلمين بممارسة جميع الشعائر المستمدة من القرآن، مثل منع الاختلاط، إدانة الكفر، احترام الممنوعات الغذائية، الزواج من الطائفة أو الجالية، وغير ذلك[18].

2- نشوء الجماعات المتطرفة بين المهاجرين المسلمين

عرّف الإسلام في أوروبا توسعًا سريعًا على الرغم من الحواجز التي وُضعت في طريقه، أولها الديمقراطية نفسها التي تمنع استخدام وصفات إسلامية عدة؛ فالشباب المسلمين من الجيلين الثاني والثالث سائرون على طريق الإسلام، ومع أنهم يحملون معرفة بدائية عنه إلا أنهم قاموا، وبنجاح، بتحويل عدد كبير من أصدقائهم المسيحيين إلى الإسلام. في المقابل، تطرّف عدد منهم بسبب سفرهم إلى مدن إسلامية مثل بيشاور والقاهرة والجزائر وإسلام أباد وكابول وصنعاء، وإلى لندن أيضًا، وغيرها من الأماكن التي سعى هؤلاء الشباب إلى الوصول إليها من أجل البحث عن معلّم يقودهم إلى الله، فعاد متحولًا بعمق نحو التطرف الديني وبشكل دائم[19].

لعل هناك أنموذجين طُبّقا في أوروبا لانصهار المسلمين في المجتمع الفرنسي والمجتمع الإنكليزي: أنموذج التشابهية (Assimilation) وطُبّق في فرنسا، في حين طبقت إنكلترا أنموذج

---

(18) De Closets, p. 138.

(19) Antoine Sfeir, *Les Réseaux d'Allah: Les filières islamistes en France et en Europe*, La nébuleuse Ben Laden (Paris: Plon, 2012), p. 62.

التعددية الثقافية (Multiculturalisme). يُعنى بالأنموذج الأول وجوب انصهار المسلمين في ثقافة واحدة، أي الفرنسية، وهذا من تقاليد «الدولة اليعقوبية» التي تركز على أحادية الثقافة للشعب، ذلك لأن تعدد الثقافات في المجتمع الواحد بالنسبة إلى تقاليد المجتمع اليعقوبي في فرنسا يعد تهديدًا لوحدة الأمة. أما الأنموذج الثاني الذي طُبّق في إنكلترا، فيسمح بالتعددية الثقافية داخل المجتمع الإنكليزي من باب إثراء المجتمع من خلال التعدد الثقافي[20]، في حين خلص الكاتب والمحلل كريستوفر كالدويل، في كتاب له عن قضايا الهجرة والإسلام في الغرب[21]، إلى أن مشكلة أوروبا الأساس مع الإسلام خصوصًا، ومع قضية الهجرة عمومًا، تتمثل في أن الجوالي المسلمة التي تعد أقوى التجمعات تماسكًا في أوروبا من الناحية الثقافية، ليست أوروبية على الإطلاق. وفي وقت يعترف فيه كالدويل بأن الإسلام دين عظيم، وبأنه أنتج في فترات تاريخية مختلفة ثقافة مزدهرة ومنفتحة، فإنه ليس بأي حال من الأحوال دين أوروبا، ولا ثقافته ثقافة أوروبا بأي شكل من الأشكال. في هذا السياق، يشير تحليل كالدويل إلى المخاوف الأوروبية المتزايدة من أن تفرض الجوالي المسلمة في أوروبا قيمها وعاداتها وأفكارها على المجتمع الأوروبي، حتى وإن كانت لا تمثّل أغلبية عددية، نتيجة تماسكها الشديد، وانخراط الأجيال الجديدة منها في العمل السياسي. يضيف كالدويل: «إن

---

(20) حميد ياسين ناصر، «الإسلام في أوروبا أم إسلام أوروبا؟: دراسة سوسيولوجية عن أوروبيّ داعش»، المدى، 22/ 2/ 2014.

(21) Christopher Caldwell, *Reflections on the Revolution in Europe*: Immigration, *Islam and the West* (New York: Doubleday, 2009), p. 54.

أوروبا قد أفاقت فجأة على حقيقة أن، بمرور الوقت، لم تعد تمثّل هذه تجمعات لجاليات تعيش في أوروبا، بل لقد أصبحت هي أوروبا»[22].

في التسعينيات، ظهرت دراسات جديدة أهمها للمفكر الفرنسي جيل كيبل الذي صنّف فيها المهاجرين ثلاثة أجيال: الجيل الأول، أو ما يُعرَف بـ «جيل إسلام الآباء»، والمقصود به «الإسلام في أوروبا» لأنه جيء به من الشرق، أي من البلدان الأصلية للمهاجرين. والجيل الثاني هو الجيل الذي تأثر بالإخوان المسلمين، فيما الجيل الثالث هو «إسلام الشباب». عاشت هذه الأجيال مرحلتين: تمتد الأولى منذ بداية الهجرة في أوائل الستينيات حتى عام 1980، حين عُرِف هذا الإسلام بـ «الإسلام في فرنسا»، وتمتد الثانية مع بداية العقد التسعيني حتى ظهور ما سُمِّي «إسلام فرنسا»، كونه أوجد لنفسه خصوصية لم تكن موجودة قبل هذا التاريخ، بل ميّزته من غيره من البلدان الأخرى[23]. هذا في حين أسست «الإسلاموية العنيفة» النوع الثالث من الإسلاموية، تلك التي وُلِدت من إحباطات المجموعات السياسية الإسلاموية، وهي تمس دار الاسلام ومن ثم تتطور في العالم غير الإسلامي. ومنذ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، دفع الجهاديون بالفضاء العالمي في مواجهة الإسلاموية المتطرفة وأمام أنظار الجميع، لكن تحت عنوان «الجهادية» من خلال ضرب أهداف استراتيجية عدة ولاعبين دوليين، وفقًا لسياق إقليمي محدَّد في

(22) أبو الخير.

(23) Viollet, p. 43.

الشرق الأوسط، ومن ثم التحول إلى سياق عالمي بدأ مع انهيار الاتحاد السوفياتي في أواخر ثمانينيات القرن الماضي. وهكذا، فمن أجل فهم تحوّل الإسلام المتطرف نحو إرهاب معولم، ينبغي أولًا تحليل أصوله[24].

ثانيًا: استراتيجية الجهاديين الأوروبيين وتوجهاتهم

1- من هم الجهاديون الأوروبيون؟ وما هي استراتيجيتهم الجديدة في مهاجمة أوروبا؟

قدر المسؤول عن مكافحة الإرهاب في الاتحاد الأوروبي جيل دي كيرشوف في أيلول/ سبتمبر 2014، أن ثلاثة آلاف مواطن من أبناء الاتحاد الأوروبي انضموا إلى تنظيم «داعش» في العراق وسورية، وأشار إلى أن دولًا أعضاء تخشى أن يمثل هؤلاء المواطنون تهديدًا إرهابيًا لدى عودتهم[25]. وحدد أن معظمهم من فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة وهولندا وبلجيكا، وفقًا للمركز الدولي لمكافحة الإرهاب في لاهاي، في حين كان عددهم قبل عامين لا يتجاوز 400 أوروبي متطرف يقاتلون في سورية. أما في مطلع عام 2014، فتضاعف عددهم أربع مرات، إذ بلغ حوالى 2000 مقاتل. وبحسب إفادة أعدّها مدير المركز الوطني لمكافحة

---

(24) Anne-Clémentine Larroque, *Géopolitique des islamismes*, Que sais-je? (Paris: Presses Universitaires de France, 2014), pp. 105-106.

(25) «الاتحاد الأوروبي يُشَكّل خلية خبراء لمواجهة الجهاديين»، وكالة أ.ف.ب. الفرنسية، 3/ 1/ 2015.

الإرهاب الأميركي نيكولاس راسموسن، وعُرِضت على الكونغرس الأميركي في شباط/ فبراير 2014، تضمنت معلومات من وكالات الاستخبارات تفيد بحصول تدفق غير مسبوق للمقاتلين الأجانب إلى العراق وسورية، انضمت أغلبيتهم إلى تنظيم «داعش». ويُقدِّر المركز عدد هؤلاء بنحو عشرين ألفًا من تسعين بلدًا، بينهم ما لا يقل عن 3400 مقاتل جاءوا من دول غربية[26].

إشارة إلى ما سبق ذكره، ذكرت دراسة لمعهد واشنطن بعنوان «الجهاديون الأجانب في سورية ... تعقب شبكات التجنيد»، مقتل أكثر من 1100 مقاتل أوروبي حتى النصف الأخير من عام 2013. ورصدت الدراسة البلدان التي ينتمي إليها الأوروبيون الذين قُتلوا في سورية: فرنسا وأستراليا وإيرلندا وألبانيا وألمانيا والبوسنة وإسبانيا وبريطانيا والدانمارك وكوسوفو ومقدونيا وبلغاريا وإيطاليا ولوكسمبورغ والنرويج ورومانيا والسويد. وبحسب معلومات أوردها المركز الدولي لدراسة الظواهر الراديكالية[27]، ذكرت الدراسة أن عدد الجهاديين الآتين من أوروبا ليقاتلوا في سورية بلغ 1937 مقاتلًا، أكثرهم من فرنسا (412 مقاتلًا)، يتبعهم البريطانيون (366)، فبلجيكا (296) وألمانيا (240) وهولندا (152)، إضافة إلى آخرين من عشر جنسيات أوروبية مختلفة. واستند التقرير إلى 1500 مصدر مختلف،

(26) «فرنسي وقطري وسوري نفذوا عمليات انتحارية في صلاح الدين»، الحياة، 12/ 2/ 2014.

(27) كمال حبيب، «حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب»، السياسية الدولية، العدد 199، كانون الثاني/ يناير 2015، ص 100.

وجمع معلومات متكاملة عن المقاتلين المتطرفين الأوروبيين في سورية، أفادت بأن الظاهرة تزداد أهمية؛ إذ كان عددهم، في عام 2011 لا يزيد على 400 مقاتل، أي 10 في المئة من مجموع الذين ينشطون في سورية[28].

من أجل معرفة مكونات الجهاديين الفرنسيين الذين يحاربون في سورية، نعود إلى ما قدّمه وزير الداخلية الفرنسية برنار كازينوف إلى صحيفة لوموند الباريسية من أرقام عن عددهم، عندما ذكر أن الجهاديين الأجانب بشكل عام يمثلون 10 في المئة من عدد مقاتلي «داعش»، حيث يوجد 2000 متطوع أوروبي يقاتلون في هذا البلد[29]. في هذا الصدد، توقع رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس أن يصل عدد الأوروبيين في صفوف الجهاديين إلى زهاء 10 آلاف مقاتل بحلول مطلع عام 2016: «... فالمزيد، والمزيد من الشباب الأوروبي ينضم إلى صفوف الجهاديين في العراق وسورية، فهُم اليوم حوالى ثلاثة آلاف. ويمكن أن يكون هناك خمسة آلاف قبل حلول الصيف، وربما 10 آلاف قبل نهاية عام 2015»[30].

إضافة إلى ما ذُكر، تُظهر المعطيات الدولية الأخيرة في شأن انتشار المتشددين الإسلاميين على المستويين الجغرافي

(28) عثمان تزغارت، «فيديو: من هم «جهاديو أوروبا»؟»، موقع قناة فرانس 24، 30/ 1/ 2014، في:
https://goo.gl/w3yMkk.

(29) *Le Monde*, 26/9/2014.

(30) «Le Nombre de jeunes français candidats au jihad a doublé en un an,» *Le Parisien*, 8/3/2014.

والدولي أن دول البلقان تساهم بشكل فاعل في توفير الرصيد البشري والأيديولوجي للجماعات الإرهابية الناشطة، خصوصًا في منطقة الشرق الأوسط، أهمها ما يُسمى تنظيم «داعش». وبعد أن أُلقي القبض مرارًا وتكرارًا على أعضاء نافذين في تنظيمَي النصرة و«داعش» في كوسوفو وألبانيا والبوسنة، أضحت منطقة البلقان محط أنظار جميع أجهزة الأمن والاستخبارات الدولية والأوروبية، وذلك في إطار تضييق الخناق المالي والتنظيمي والبشري على خلايا الإرهاب، وفق التوجهات العربية والدولية للقضاء عليها[31].

فضلًا عن ذلك، هناك من يرى أن الغرب كان قد عانى الحروب الدينية وخرج منها ليكون جسرًا للمقاتلين إلى البلدان العربية، حيث أدت فرنسا دورًا في ذلك حتى الأعوام الأخيرة؛ إذ برمجت عملية إعادة رسم الشرق الأوسط وفعّلتها، داعمةً بذلك المصالح الأميركية. لكن يبقى السؤال المطروح: لماذا بقيت فرنسا عاجزة - إن لم تكن غائبة - أمام حوادث سورية؟[32]. وسبب هذا التساؤل انتشار الجيل الثالث من الجهاديين الفرنسيين اليوم على أرض معركة تمتد عبر العراق وسورية، ويسيطر عليها تنظيم «داعش»، وهي منطقة لا تبعد عن أوروبا إلا بضع ساعات، ولا تفصلها عن باريس وبروكسل ولندن إلا رحلة طائرة بتكلفة

---

(31) «داعش في البلقان: تقدم التطرف نحو أوروبا أو الهروب إلى الأمام، يوغسلافيا السابقة تمثل الخزان البشري للتطرف الديني والإرهاب يصل أوروبا من الشرق»، صحيفة العرب (لندن)، 1/ 10/ 2014.

(32) Sfeir, p. 156.

منخفضة، فضلًا عن سهولة العودة بالنسبة إلى الأوروبيين الذين شاركوا في المعارك وقرروا الرجوع إلى مواطنهم[33].

ظهر أنصار الجهاد ومؤيدوه خلال مراحل متعددة. وعند النظر بإمعان في قصص الآلاف ممّن اعتُقل منهم منذ عام 1995 وحتى اليوم، نجد نمطًا معينًا؛ فأغلبيتهم وُلِدت ونشأت في فرنسا، ولا تتجاوز نسبة المتحوّلين إلى الإسلام منهم أكثر من 20 في المئة، وحظيت بدعم كبير وفوري، وعاش معظمهم فترة مراهقة صعبة في ظل أوضاع عائلية هشة[34]. في ذلك الوقت، طوّرت الجماعات الإسلاموية المتشددة ضمن التنظيمات الإرهابية استراتيجياتها القتالية، مثل استراتيجية «داعش» للعمل على انضمام مزيد من النساء إلى التنظيم؛ إذ منذ تأسيس ما يُسمى «دولة الخلافة» في تموز/يوليو 2014، بدأت أعداد متزايدة من النساء تذهب إلى سورية للانضمام إلى «داعش». تقول الباحثة البريطانية ميلاني سميث: «من خلال شبكات التواصل الاجتماعي وباستخدام «تشات» و«تويتر»، فإن زهاء 180 امرأة كنّ قد غادرن الدول الغربية للانضمام إلى ذلك التنظيم. فضلًا عن ذلك، عمِل التنظيم على إعداد الانتحاريات في أراضي القتال في العراق وسورية، أو خارجها، كما جرى أول مرة على الأراضي الفرنسية، حين نفذت امرأة تفجيرًا انتحاريًا في منطقة سانت دوني، في الضواحي الباريسية، حين داهمت الشرطة مسكنها، وذلك بعد أيام عدة من

(33) جيل كيبل، «الجيل الثالث من الجهاديين»، النهار (بيروت)، 10/3/2015.

(34) ميغو.

حوادث 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015. غيَّر ذلك الحادث النظرة الموجهة إلى الإسلام الراديكالي كونه يعطي النساء دورًا ثانويًا، يقتصر على أن تكون ربة منزل فقط، أو مستعبَدة جنسيًا، كي تبقى مجرد «استراحة محارب»[35]. ولعل هذه المعطيات تقدم إشارات ورسائل واضحة عن طبيعة استراتيجية الجهاديين المتطرفين، وهي في الوقت ذاته تدق ناقوس الخطر محذرة من توجههم إلى بلدانهم التي جاءوا منها، وأغلبيتها أوروبية، بعد أن ينحسر نفوذهم ودورهم في منطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي سيشكل خطرًا كبيرًا على تلك البلدان الأوروبية مستقبلًا، وهذا ما تحدثت عنه تلك البلدان نفسها. وفي هذا الصدد، يشير المنسق الأوروبي لشؤون مكافحة الإرهاب جيل دي كيرشوف إلى: «أن التحدي الذي تواجهه كل دولة يتمثل في تقويم مدى خطورتهم والرد الأمثل على ذلك، والخوف الأكبر ليس من هجوم واسع على غرار اعتداءات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة، بل من فرد مزود برشاش يمكن أن يسبب أضرارًا كبيرة»[36].

للجهاديين الفرنسيين المتطرفين حصة في العمليات الانتحارية التي تُنفَّذ في العراق وسورية، والتي ارتفع عددها بشكل ملحوظ منذ أواخر عام 2014. ولعل ذلك يقع ضمن الاستراتيجيا الجديدة لتنظيم «داعش» في ضرب أهدافه. ففي إعلان للتنظيم «صدر في الحادي عشر من شباط/ فبراير 2015،

---

(35) «Les Femmes kamikazes, nouvelle stratégie des djihadistes,» Valeurs actuelles (18 novembre 2015), accessed en: 21/1/2016, dans: https://goo.gl/5YwNki.

(36) «ارتفاع عدد (الجهاديين الأوروبيين) في سوريا والعراق إلى حوالى ثلاثة آلاف»، القدس العربي، 24/ 9/ 2014.

أُشير فيه إلى أن عنصرًا فرنسيًا كان واحدًا من ثلاثة انتحاريين نفّذوا هجمات ضد القوات العراقية في محافظة صلاح الدين شمال بغداد، كما فجّر ثلاثة انتحاريين يرتدون أحزمة ناسفة في نيسان/أبريل 2015 أنفسهم في مخفر عراقي على الحدود مع الأردن، وتبنى تنظيم داعش التفجيرات، مبينًا أن الهجوم شنّه انتحاريون من فرنسا وبلجيكا والسنغال. وأعلن تنظيم (داعش) الإرهابي أن المهاجمين الثلاثة هم أبو بكر الفرنسي، وأبو عبد الله البلجيكي، وأبو جعفر السنغالي»[37].

بناء عليه، تتمثل الظاهرة الجديدة في استراتيجية الجماعات الإسلاموية المتطرفة في أن أعدادًا متزايدة من الجهاديين تلتحق بأماكن النزاع بمعية عائلاتها؛ إذ كشفت النيابة العامة أن أبوين غادرا فرنسا في آب/ أغسطس 2014 باتجاه سورية برفقة أطفالهما الأربعة. وهذه الحالة ليست الوحيدة أو التي تحدث مصادفة، فهذا هو ما يسمونه «الجهاد الأسري»، هدفه ليس تكتيكيًا، آنيًا، من أجل القتال، بل هو استراتيجي، مستقبلي يطمح إلى بناء دولة وأجيال لمستقبل خُطِّط له جيدًا. وهناك ظاهرة أخرى تتمثل في مغادرة الفتيات إلى سورية من أجل الزواج من المقاتلين الإسلامويين وتكوين عائلات هناك[38].

---

(37) بحسب صور تداولتها حسابات تنظيمات إرهابية على مواقع التواصل الاجتماعي، ونُشِرَت على موقع تويتر، تحمل توقيع (ولاية صلاح الدين) التابعة للتنظيم، يظهر شاب ذو لحية خفيفة باسمًا وهو يرفع سبابته إلى جانب علم للتنظيم الإرهابي، مقدمًا نفسه على أنه أبو طلحة الفرنسي.

(38) *Le Point*, 10/9/2014.

في السياق ذاته، وضمن إطار استراتيجية «داعش» القتالية الجديدة في مجال الاتصالات، وضع هذا التنظيم تطبيقًا جديدًا على نظام أندرويد يسمح له بالاتصال بواسطة نظام دردشة من خلال رسائل مشفرة، وفقًا لشركة Ghost Security Group. وقالت هذه الشركة المتخصصة بأمن الفضاء الإلكتروني إنها رصدت استخدام هذا التطبيق الجديد منذ كانون الثاني/ يناير 2016[39].

هكذا نجد أن التنظيمات الإرهابية أضحت تنافس بلدانًا متقدمة في استخدام التقنيات الحديثة عند قيامها بتجنيد المتطوعين للقتال، وتنفيذ أعمالها الإرهابية، أكان ذلك في الشرق الأوسط أم حتى في بلدانها - في أغلبيتها أوروبية - التي انطلقت منها للقتال ثم عاد قسم منها إليها في ما بعد.

2- أسباب انضمام الإسلاميين المتطرفين إلى الجماعات الإرهابية

يُرجع جُلّ الدراسات مسألة تطرف الشباب وسهولة استقطابه وتجنيده لمصلحة شبكات الإرهاب إلى القوة المالية الضخمة التي تملكها تلك الشبكات، وبالتالي ستكون عملية كسب شباب فقراء وتجنيدهم، مثل الشباب الذين يعيشون في الضواحي الباريسية على سبيل المثال، سهلة من خلال إغرائهم بالمال والثروة.

تفيد تقارير إعلامية بأن الاندفاع نحو التطرف بجنون إنما يعود إلى فقدان الأمل في الحياة، وإلى اليأس، ولعل هذا الوضع

(39) «Cyberguerre et djihadosphere: Djihadistes et hackistivistes confrontent leurs stratégies online,» *Paris Match*, 18/1/2016.

يمثل نسخة أوروبية من الوضع في شمال أفريقيا وغربها، حيث الفقر والبطالة وعدد كبير من الشباب. من جهة أخرى، يقول فيسار دوريقي، الصحافي المتخصص بالقضايا المتصلة بالإسلام: «إن التعبئة الأيديولوجية والتجنيد يستهدفان الطبقات الأكثر فقرًا بين السكان وخصوصًا الطلبة»[40]. ولعل هناك عوامل عدة رئيسة تساهم في دعم قدرة النزاع في منطقة الشرق الأوسط، خصوصًا في العراق وسورية، باستمالة هذا العدد الكبير من الأفراد للانضمام إلى الجماعات الإرهابية. وأهمها ما يأتي:

- سهولة السفر: عند تجنيد المقاتلين الأجانب، من السهل نسبيًا الوصول إلى العراق وسورية؛ فمعظم الأفراد يستقل الطائرة أو السيارة من نقطة انطلاقه إلى تركيا، ومنها إلى هذين البلدين، لسهولة دخول المتطرفين الفرنسيين إلى تركيا ووجودهم فيها، وتنسيق ذهابهم إلى سورية أو العراق من خلال شبكات وأشخاص معينين[41]، خصوصًا أن الفرنسيين لا يحتاجون إلى تأشيرات دخول إلى تركيا. وبحسب رومان كاييه، الباحث

---

(40) «داعش في البلقان».

(41) يتحدّث الصحافي الفرنسي صامويل لورين في كتابه *(Al-Qaïda en France)* القاعدة في فرنسا الصادر في باريس، عن رحلته إلى سورية عبر تركيا من أجل معرفة واقع الجهاديين الفرنسيين الذين يقاتلون في هذا البلد، بأنه التقى بسهولة أحد الأشخاص الذين يعملون لمصلحة القاعدة في تركيا، وتحديدًا في منطقة تقسيم الشهيرة الواقعة في قلب اسطنبول، بهدف تسهيل دخوله إلى سورية والالتحاق بالجماعات الفرنسية المتطرفة ليكتب عن نشاطهم وأعمالهم وواقعهم على الأرض. وقد تمكن فعلًا من الوصول إلى أماكن القتال في سورية ومعايشة المقاتلين الفرنسيين. لمزيد من المعلومات، انظر:

Samuel Laurent, *Al-Qaïda en France: Révélations sur ces réseaux prêts à frapper* (Paris: Seuil, 2014), pp. 9-11.

الفرنسي ومستشار قضايا الإسلاميين: «لا يوجد ما هو أسهل من السفر إلى منطقة غازي عنتاب وشراء الأسلحة والأعتدة، ثم العثور على هاتف نقال للاتصال بالشخص الذي سيستقبلك على الجهة الأخرى من الحدود»، مضيفًا: «إن التمويل فردي أيضًا»(42).

يتحدث الصحافي باتريك كوكبيرن في كتابه **عودة الجهاد ... إلى جذور الدولة الإسلامية**(43) *(Le retour du Djihad, Aux racines de l'État Islamique)* عن سهولة دخول المقاتلين الأجانب إلى سورية عبر تركيا بالقول: «.... في مواجهة إرهابيين يعملون عبر الحدود السورية، ثمة شيء عبثي في هذا الأمر؛ فالجهاديون في سورية هم الأشخاص الذين يعترف أوباما بأنهم يشكلون خطرًا عظيمًا يمكنهم فحسب الوصول إلى هذا البلد لأنهم قادرون على عبور 510 أميال على امتداد الحدود التركية - السورية من دون أي عرقلة أو تدخّل من السلطات التركية»(44).

- **وجود شبكات دعم أهلية متمرسة**: وهي حركات ومنظمات مدنية محلية تدعم المتطرفين وتُسهِّل أعمالهم. على سبيل المثال لا الحصر: في أوروبا الغربية جماعة «المهاجرون في بريطانيا»، والخلية المتطرفة «شريعة في بلجيكا» البلجيكية،

---

(42) *Le Point*, 10/9/2014.

(43) يرُكز هذا الكتاب الصادر بالإنكليزية، والمترجم إلى لغات عدة بينها الفرنسية، على حوادث وتطورات عدة في الشرق الأوسط منها قصير الأمد ومنها طويل الأمد، تؤثر حاليًا أو ستؤثر لاحقًا في باقي العالم قريبًا، أهمها نهوض جماعات كالقاعدة تسيطر اليوم على منطقة واسعة من شمال العراق وغربه وشمال سورية وشرقها.

(44) Patrick Cockburn, *Le Retour des Djihadistes: Aux racines de l'État Islamique*, Traduction de Adrien Jaulmes (Paris: Equateurs documents, 2015), p. 40.

ومجموعة «فرسان العزة» في فرنسا[45]، وجماعة «ملة إبراهيم» في ألمانيا. وهناك أيضًا شبكتا «أنصار الشريعة» في ليبيا وتونس، ضمن شمال أفريقيا، وغيرها من الشبكات المتطرفة التي تعمل على تجنيد المقاتلين المتطرفين وتجهيزهم وإرسالهم إلى مناطق النزاع في الشرق الأوسط من أجل المشاركة في القتال.

- **عامل الجذب الديني/ التاريخي:** تشكل فكرة وجود مقر الخلافة الإسلامية السابق في دمشق حافزًا قويًا للذين يأملون إعادة إحياء الخلافة. كما تستحوذ عقيدة البعث والحساب في الإسلام حول نبوءات نهاية العالم على عقول المتطرفين؛ ذلك لأن المعارك الرئيسة التي ستفضي إلى نهاية العالم تجري في المشرق - بحسب اعتقادهم - علمًا أن بعض المقاتلين الأجانب يؤمن بأنه يمهد السبيل لـ «يوم القيامة». وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن المؤسسة الإعلامية لـ «جبهة النُصرة» سُمّيت «المنارة البيضاء»، وفي ذلك إشارة إلى مئذنة جامع «بني أمية الكبير» في دمشق التي يُزعَم أن النبي عيسى «يسوع المسيح» سيظهر منها لمحاربة المسيح الدجال والإسراع في موعد الحساب عند الله، بحسب بعض الروايات التي تعتقد بها هذه الجماعات.

- **شعور العداوة تجاه الشيعة:** ثمة من يرى أن هذا الشعور

(45) تُعَدّ من بين أكثر الجماعات الإسلاموية تطرفًا. أُسّست بوصفها منظمة وسُجّلت في 25 حزيران/ يونيو 2010، وكان هدفها المعلن إدانة الظلم الذي يتعرض له المسلمون الحقيقيون في فرنسا والعالم. قامت الجماعة بتأسيس موقعها على شبكة الإنترنت www.alizaa-forsane.com، الذي جذب اهتمام الإعلام بسبب خطابه التحريضي. كانت «الشهادة «الإسلامية موجودة في الصفحة الرئيسة ويليها صوت يوحي بالحرب وصليل السيوف المسلولة.

ازداد انتشارًا مع تطور النزاع بفعل ديناميتين رئيستين: أولاهما المساعدة التي تقدمها إيران إلى الحكومة السورية، وثانيتهما تشدُّد قوى مقاتلة عدة في صفوف المتطرفين وتوجهها نحو السلفية التي تناهض الشيعة في أسس عقيدتها[46].

- الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي: أضحت هذه الشبكات وسيلة مهمة بالنسبة إلى «الجهاديين المتطرفين» الذين يستخدمون الإنترنت في معظم نشاطهم ولغرض بث عدد من مقاطع الفيديو[47] التي تتضمن رسائلهم الموجهة إلى مديريهم،

---

(46) Aaron Y. Zelin, «Sunni Foreign Fighters in Syria: Background, Facilitating Factors, and Select Responses,» *The Washington Institute* (May 2014), in: https://goo.gl/fOkPGt.

(47) يُجنّد معظم الشبان والشابات من الإسلامويين المتطرفين من طريق الإنترنت، إذ أدرك الخطاب الراديكالي الإسلامي أن هذه الوسيلة ناجعة للدعاية والاستقطاب لأنها تسمح بتجاوز قيود الزمان والمكان. وهناك ثلاثة أنواع من الفيديوات التي يتم تداولها في هذه المرحلة الافتراضية:

- الفيديوات التي تركز على فساد النظام العالمي.
- الفيديوات التي تركز على مجموعات سرية تُسيِّر الأمور بحسب مصلحتها (شهود يهوه، الماسونية، مافيات اقتصادية، مخابرات عالمية، موساد...).
- الفيديوات التي تحثّ على مواجهة أعداء الاسلام - بحسب رؤية الجماعات المتطرفة.

سرعان ما تدفع هذه الفيديوات ضحايا التجنيد الجهادي إلى الغرق في تصور عالم محكوم كله بالكذب والمؤامرات ثم يخرجون وهم على يقين بأن الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) ما هو إلا جزء من المؤامرة الكبرى، وأن قوى الشر الشيطانية تهاجم الإسلام لأنه يمثّل آخر معقل يمكنه الوقوف في وجهها ومكافحتها. ومن هنا يُدخل المتطرفون في ذهن الشاب أن الانضمام إليهم هو الطريق الوحيدة التي تقود إلى تهديم هذه التكتلات السرية التي تريد تحطيم الإنسانية. انظر: عزام أمين، «الجهاديون الفرنسيون: من هم؟ وكيف يتم تجنيدهم؟»، ميكرو سوريا، 17/ 11/ 2015، في: https://goo.gl/EwUIWm.

كما تُظهر هذه الشبكات عمليات إعدام رهائن غربيين، فضلًا عن شبكات التواصل الاجتماعي التي تُستخدَم في تسهيل تجنيد مقاتليهم وسفرهم، وهذا ما سنتطرق إليه بشيء أكثر تفصيلًا في موقع لاحق من هذا الكتاب.

في هذا السياق، لعل الإعلام بشكل عام، والإنترنت بشكل خاص، يؤديان دورًا مهمًا في التأثير في الشباب الأوروبيين المسلمين، المحبَطين والمهمّشين في قضايا مثل العراق وكشمير وفلسطين، وهي بلدان لم يزوروها ولا يعرفون عنها إلا ما يقرأونه في كتب الدراسة أو الصحف أو ما تنشره المواقع السلفية. مع ذلك، يسعى هؤلاء إلى القتال بل الموت في أراضي هذه البلدان، لأن ذلك يمثل لهم - بحسب تصورهم - حلًا للمشكلات التي يعانونها ومخرجًا منها[48].

- **دور المساجد والأئمة**: تشير المعلومات المستقاة من التقارير الإعلامية إلى مسار نمو التطرف في بلدان، مثل ألبانيا ومونتينيغرو والبوسنة والهرسك وكوسوفو، إذ أشارت هذه التقارير إلى أن الأئمة الذين يشرفون على إمامة الناس في مساجد ريفية بعيدة وحتى في المدن الكبرى، يتلقون دعمًا ماليًا من الجماعات الإرهابية لترويج الفكر المتطرف، من خلال إغراء الشباب بالمال وبيع الأحلام والتجنيد في مقابل المال (بما في ذلك تجنيد النساء)[49].

- **مشاركة النساء**: من المهم الإشارة إلى الدور الذي تؤديه

(48) أبو الخير.

(49) «داعش في البلقان».

النساء الناشطات في القتال ضمن الجماعات المتطرفة في الشرق الأوسط، خصوصًا في العراق وسورية. في ما يخص هذا الأمر، تقول نيمي غوريناثان، الأستاذة في كلية سيتي في نيويورك الاختصاصية بشؤون المرأة والعنف الجنسي، لشبكة سي أن أن الأميركية، ردًا على سؤال عن أسباب وجود كتيبة «الخنساء» النسائية في صفوف «داعش»: «في الأصل، لم يكن هناك نساء في التنظيم، كما هو الحال في كثير من التنظيمات المشابهة، لكن تنظيم داعش أحس لاحقًا بأهمية وجود نساء في صفوفه، وشكلت كتيبة نسائية بالكامل تقوم بمهمات عدة، وبعض أعضائها يشارك في القتال على الخطوط الأمامية». وتابعت: «الدعوة إلى القتال قادرة على اجتذاب المتطوعات، ففي فرنسا أظهرت الإحصاءات أن النساء يشكلن 45 في المئة من الذين يخططون للانضمام إلى داعش، وهناك نساء يُدِرن هذه الكتيبة وينشُرن مواد دعائية للترويج لها». أمّا بالنسبة إلى كيفية انجذاب النساء في الغرب إلى خطاب داعش الديني في شأن ضرورة بقائهن في البيوت وإطاعة الأزواج، ردت غوريناثان قائلة: «المنضمات إلى التنظيم يدركن أن المعركة لا تتعلق بحقوق المرأة، بل بقضية قيام الخلافة، وبالتالي الصراع السياسي هو ما يجذبهن إلى الانضمام إلى التنظيم، وهذا أمر لا يفهمه كثيرون. والنساء اللواتي يذهبن إلى داعش يبحثن عن أمور عدة بينها الأمان، لأنهن يشعرن بأن هويتهن الإسلامية مهددة»[50].

(50) «باحثة في أمريكا تشرح أسباب انضمام نساء الغرب لداعش: القتال لا يدور حول حقوق المرأة، بل يتعلق بإقامة الخلافة الإسلامية»، سي أن أن بالعربية، 19/ 2/ 2015، في:

http://arabic.cnn.com/world/2015/02/19/isis-usa-west-women.

بحسب وجهة نظر الجماعات المتطرفة، يهدف طموح النساء الفرنسيات اللاتي انضممن إلى الدولة الإسلامية، إلى محاولة العودة إلى التعاليم الأصلية للإسلام - بحسب رؤيتهن - إذ يُبيّن الخبير الأمني رومان كاييه: «بعد أن قدّرن أنهن ما عدن قادرات على البقاء في فرنسا بسبب قوانين منع ارتداء الحجاب والنقاب، تذهب الفرنسيات المسلمات إلى مناطق النزاع في منطقة الشرق الأوسط، حيث يعتقدن أن في إمكانهن العيش بسلام في ظل الشريعة الإسلامية»[51].

في هذا الصدد، تجيب غورينااثان عن سؤال في شأن إمكان نجاح الجهد الأميركي في محاربة دعاية كسب داعش ود النساء من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، قائلة: «علينا أن نفهم أن الأمر أوسع من وسائل التواصل الاجتماعي، بل يتعلق بحركة اجتماعية وسياسية أكبر كثيرًا تُظهر نفسها عبر تلك الوسائل. فالتنظيم يعتمد على وسائل القرن الحادي والعشرين لنشر أيديولوجيا تعود إلى القرن السابع، وعندما يحاول هذا التنظيم جذب النساء إلى صفوفه، فهو يفعل ذلك مستخدمًا دعاية تستند إلى إنجازات النساء المسلمات منذ قرون، وهذا أمر يجب التنبّه إليه»[52].

بناء عليه، بدأت الجماعات المتطرفة تهتم بتوظيف النساء للمشاركة في عملياتها الإرهابية بعد أن كان دورهن يقتصر على دعم المقاتلين في ساحات القتال، خصوصًا في الجوانب الإدارية،

---

(51) *Le Point*, 10/9/2014.

(52) «باحثة في أميركا تشرح أسباب انضمام نساء الغرب لداعش».

لأعوام خلت، وهي استراتيجيا جديدة تعتقد من خلالها هذه الجماعات أنها سوف تُربك فيها أعداءها، إذ إن النساء لا يُثرن في الأغلب الانتباه عند محاولتهن القيام بالعمليات الإرهابية، ولا سيما التفجيرات باستخدام الأحزمة الناسفة، كما يحصل في العراق وسورية منذ أعوام، وكما حصل في منطقة سان دوني في باريس - فرنسا.

3- دور الإنترنت (الفضاء الجهادي السيبيري) في تجنيد الجهاديين وإدارة نشاطهم

في الواقع، برز ما يُسمى «جهاد الفضاء السيبيري» من قلب شبكة الإنترنت في وقت مبكر عام 2010، وذلك من خلال استثمار شبكات التواصل الاجتماعي استثمارًا كثيفًا، ومن دون تعقيد. لذا، بدأ الوعظ من خلال هذه الشبكة يؤثر في عدد أكبر من الشباب ويدفعهم نحو الجهاد. من هنا، تقول إحدى الناشطات: «وفّر الإنترنت فرصة الدخول للفرانكوفونيين مثلي والحصول على مجموعة من الخطب المترجمة، حيث لا نستطيع الحصول على مثلها والاستماع إليها من مصدر آخر، إذ حتى عام 2000، لم يكن الناس يمتلكون إمكان الوصول عبر الإنترنت إلى أي موضوعات تتحدث عن الإسلام، بل كانوا يعتمدون على خطب الإمام في الحي الذي يقطنون فيه، ومن ثم الاتجاه إلى قراءة القرآن فحسب. وإذا علمنا أن هناك شابة كانت تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا في عام 2001، وهي الآن في الخامسة والعشرين من العمر تقريبًا، ولديها إمكان الوصول إلى الخطب كلها التي لم تكن متوافرة في عام 2000، فذلك يكشف لنا أننا

نواجه في الواقع جيلًا جديدًا من المسلمين يحمل أفكارًا ورؤًى تختلف عن تلك التي حملتها الأجيال السابقة، بفضل ما يتوافر اليوم من وسائل وتقنيات عدة كالمنتديات على الإنترنت ويوتيوب وفيسبوك وتويتر وواتساب وإنستغرام... وغيرها».

على سبيل المثال، في 31 كانون الأول/ ديسمبر 2013، وقبل ساعات عدة من بدء العام الجديد، كتبت أنيسة - ناشطة فرنسية من أصول عربية - في يومياتها على موقع فيسبوك من موقعها القتالي في سورية: «حصلتُ على دروس في اللغة العربية وفي القرآن، الحمد لله. كذلك، نجحتُ هذا اليوم في قراءة كلماتي الأولى بالعربية، على الرغم من عدم وجود طاقة كهربائية بشكل شبه دائم، لكن الأمر يسير على ما يرام. سأقوم قريبًا بممارسة الخياطة». وفي صدد مواجهة انتقادات موجَّهة ضدها حول معنى هذه الرحلة، كتبت على صفحتها أيضًا: «الإسلام هو أن تترك بلدًا غير مسلم وتتجه نحو بلد مسلم (...). لا أحتاج أن يكلمني أحد في هذا الشأن، لأنني ببساطة، أصبحت أجيد قراءة القرآن، وقد كُتِب فيه أنّ علينا أن نهاجر. أنا أعلم أنني أغادر إلى بلد تستعر فيه الحرب، لكنني لا أقبل بأن يموت المسلمون الآخرون تحت القنابل».

في عام 2008، بلغ عدد مشاهدي الفيديوات المتطرفة، خصوصًا تدريبات الجهاديين، وزيارة المعسكرات، من 1000 إلى 1500 مشاهد في حدٍّ أقصى؛ وذلك عائد إلى عدم اهتمام أغلبية الناس بذلك، أو إلى عدم وضع كلمة السر التي تقود إلى مشاهدة هذا النوع من الفيديوات. في حين نرى اليوم فيديوات

مطوّلة يراوح عدد مشاهديها من ثلاثين إلى أربعين ألفًا خلال أسبوع أو أسبوعين، ولعل الجذب الأقوى للدولة الإسلامية في العراق وسورية حول الجهاديين الفرنسيين الشباب يرجع في الأساس إلى وجودها الواسع على الـ «ويب»، ولا سيما بعد الغزو الأميركي للعراق(53).

مع ذلك، تُعَدّ الحرب في سورية، من نواح عدة، الحرب الأولى التي يجري تداول مجرياتها على نطاق واسع عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ فلدى الجهاديين ذوي الخبرة شبكات فاعلة ترشدهم إلى مناطق النزاع، إلا أن الجهاديين المتدربين - ولا سيما المقاتلين من الشباب - ليسوا بحاجة إلى مرشد متطرف يوصلهم إلى وجهتهم؛ إذ توفّر شبكة الإنترنت (ومن ضمنها موقع يوتيوب) لهؤلاء الشباب اتصالًا مباشرًا مع الوسطاء للوصول إلى الأماكن المقصودة(54). وفي الوقت نفسه، تشهد مواقع التواصل الاجتماعي عمليات استقطاب المتطوعين من أجل القتال في العراق وسورية من خلال توظيف هذه المواقع عبر إغرائهم ببعض المزايا، مثل غنائم الحرب وتسهيلات الزواج وإمدادات المال والسيارات الخاصة... وغيرها(55).

في نظرة عدد كبير من الناس إلى شبكة الإنترنت، سؤال

---

(53) David Thomson, *Les Français jihadistes*, collection politique actualités (Paris: éditions Arènes, 2014), pp. 122-138.

(54) *Le Point*, 10/9/2014.

(55) عماد علو، «الاستراتيجية القتالية لتنظيم داعش: حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب»، السياسية الدولية، العدد 199 (كانون الثاني/يناير 2015)، ص 13.

يطرح نفسه: «هل ستصبح هذه الوسيلة، بشكل خاص، المكان الأكثر أهمية بالنسبة إلى الأيديولوجيا الجهادية؟» في هذا الشأن، تقول الباحثة الفرنسية دنيا بوزار (D. Bouzar): «حول هذا المعبود، يشعر الشاب بالانتماء إلى مجاميع وطلائع وسرايا مجندة، قبل أن يغادر إلى سورية»[56].

إن التنوع اللغوي، وتنوع الاختصاصات داخل التنظيم، والمهارة في استخدام الشبكة العنكبوتية والتجول في مواقع التواصل الاجتماعي، عوامل ساهمت كلها بشكل كبير في نشر «بروباغاندا» الدولة الإسلامية - الحلم، خصوصًا أن هذه الدولة تتمتع بأرض وبـ «إسلام» بعيد عن أي ثقافة تخفف من العنف وسفك الدماء[57]. لذلك، بعد تأكيد إعلام الجماعات المتطرفة أهمية استخدام الإنترنت، رفع موقع إلكتروني يدعو إلى الجهاد المتطرف شعارًا مفاده: «نصف الجهاد إعلام». ويؤكد هذه المقولةَ الصحافي باتريك كوكبرن بالقول: «... ذلك صحيح تمامًا إذا نظرنا إليه من منظور واسع، فأفكار الجهاديين الأصوليين وأفعالهم وأهدافهم تُذاع يوميًا عبر قنوات التلفزيون ويوتيوب وتويتر وفيسبوك وغيرها. وباستمرار توافر وسائل دعائية قوية كهذه، لن تفتقر جماعات مماثلة أبدًا إلى القاعدة أو المال أو المجندين. فالجهاديون، وإن كانوا يحنون إلى منابع الإسلام الأصلية، فإن مهاراتهم في استعمال وسائل التواصل

---

(56) Philippe Gutton, *Adolescence et Djihadisme* (Paris: Esprit du Temps, 2015), p. 55.

(57) ناصر.

الحديثة والإنترنت متقدمة على معظم الحركات السياسية في العالم»[58].

ربما نجد مبالغة في تقدير حجم الإعلام الدعائي للجهاديين المتطرفين من هذا الكاتب الإيرلندي، أو من غيره من المهتمين بشؤون الجماعات الإرهابية المتطرفة، إلا أن المعطيات تدعم استخدام التنظيم تقنيات حديثة[59]، من دون التقليل مما تقوم به من إعلام موجّه إلى المتطرفين يحقق بعض النجاحات الملحوظة، خصوصًا في ما يتعلق بتجنيد المتطرفين وتسهيل سفرهم ووصولهم إلى مناطق النزاع في الشرق الأوسط من طريق استخدام هذه التقنيات.

لذا، لا يمكن اعتبار بعض وسائل الإعلام الأوروبي

---

(58) Cockburn, p. 53.

(59) يقول جيروم روبير، مدير التسويق في شركة «لكسي» الفرنسية للاستشارات، إن لدى التنظيمات الارهابية طرائق غير تقليدية للتواصل، مثل الألعاب الإلكترونية. ولم يكن الحديث عن استخدام الإرهابيين منصة «بلايستيشن 4» التي تنتجها شركة «سوني» بغية الإعداد لاعتداءات باريس إلا شائعة، لكن الفكرة باتت مطروحة. هذا في حين يقول كارستني، مطور البرامج المضادة لفيروسات الإنترنت في شركة «تشك بوينت»: «يمكن أن يقرروا أن تكون طريقة التواصل عن طريق اللعب على الإنترنت، وأن هذه الخطوة أو هذا الضرب لهدف معيّن في اللعبة يعني شيئًا محددًا». وبصورة أعم، يقول جيروم روبير: «إن على من يرغب في الإفلات من شاشات الرادار أن يذهب إلى حيث لا يمكن العثور عليه». ويضيف: «إذا أرسلت إشارات مورس إلى شخص على برج إيفل، فلن يعترض أحد حوارنا لأن لا أحد يفكر في هذا النوع من التواصل». كما ينبغي، خصوصًا، أن يكون المتصلان حذرين، يضيف روبير، ويقول «إذا عرفت كيف تتدبر أمورك، فلن يقبض عليك أحد. المشكلة هي في أن تكون على اتصال مع أشخاص مراقبين». انظر: «يفضّلون «تلغرام مسنجر» الروسي للرسائل الآمنة: الإرهابيون على خطى قراصنة الإنترنت»، السفير، 25/ 1/ 2016، متوفر في: http://assafir.com/Article/1/470032/SameChannel.

عمومًا، والفرنسي خصوصًا، الوحيدة التي تروّج للجماعات الإرهابية، وعلى نحو خاص تنظيم «داعش» الإرهابي، بل هناك مفكرون وكتّاب يتكلمون ويكتبون في الاتجاه نفسه؛ فها هو المؤرخ الفرنسي جان بيير لويزار في كتابه **فخ داعش ... أو عودة التاريخ** *(Le piége Daech.. ou le retour l'Histoire)*، يقول إن جيشًا من الجهاديين ظهر من لا شيء، تتحدث عنه الصحافة الغربية بالتشكيك، وكأنها تكتشف شيئًا يبدو لها نوعًا من الأجسام الطائرة الغريبة التي يُعبِّر عنها في مصطلحات الطيران الحربي (OVNIO)[60] مردفًا: «يبدو لي أنه لا يمكن أحد أن يقدر على وقفه»[61].

لعل ما يثير هنا هو استخدام هذا الكاتب مصطلح «الدولة الاسلامية» بدلًا من مصطلحات أخرى أكثر دقةً وحيادية، مثل تنظيم «داعش» الإرهابي، أو «تنظيم الدولة» أو غيرهما من المصطلحات التي هي أقرب إلى الواقعية. برر لويزار استخدامه مصطلح «الدولة الإسلامية» بدلًا من «داعش» في كتابه هذا[62]، بحرص شديد على أن يكون حياديًا، ولا سيما إزاء معارضي «داعش» الذين يستخدمون مصطلح «الدولة الإسلامية في العراق والشام»[63].

---

(60) مختصر عبارة *Objet Volant Non Identifie*، أي شيء طائر مجهول الهوية.

(61) Pierre-Jean Luizard, *Le Piège Daech: L'État islamique ou le retour de l'Histoire*, collection cahiers libres (Paris: La Découverte, 2015), p. 7.

(62) لا يستخدم الكاتب هذا المصطلح في كتابه هذا فحسب، بل يستخدمه أيضًا في الندوات والمؤتمرات واللقاءات الصحافية، ومن بينها ندوة له حضرتها في أواخر عام 2015 في بيت البحوث التابع لجامعة السوربون، استخدم فيها بشكل مستمر مصطلح «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، في حين أشار من جهة أخرى إلّى عراق آيل إلى الانقسام إلى ثلاث ولايات كانت قد التأمت وفقًا لمعاهدة سايكس - بيكو عام 1916!

(63) Ibid, p. 8.

يتحدث الصحافي الفرنسي ديفيد تومسون في كتابه **الجهاديون الفرنسيون** *(Le Français Djihadistes)*، عن أن هؤلاء الإسلامويين المتطرفين نادرًا ما يسمحون بمقابلات صحافية، لكنه استطاع أن يُجري مع عدد منهم لقاءات استمرت طوال عامي 2013 و2014، حين كانت المقابلات تجري على الأغلب في مقاهٍ في فرنسا مع جهاديين فرنسيين من الشباب قرروا أن ينضموا إلى ركب الجهاديين في العراق وسورية. ويردف قائلًا: «بفضل الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، هذا الخط لم ينقطع، إذ من بين الخمسين جهاديًا من الفرنسيين الذين التقيت بهم (شخصيًا وشفويًا وبالمراسلة)، قَبِل ثمانية عشر أن يرووا بالتفصيل عن حياتهم واعتقاداتهم وفلسفتهم ومشروعاتهم. وفي ما عدا اثنين في قفص الاتهام، تراوح سنهم بين17 و28 عامًا، لم يكن أحد منهم يعرف الإسلام الجهادي في المساجد أو السجون. القاسم المشترك الوحيد بينهم هو الإنترنت وثقافة شبكات التواصل الاجتماعي التي غيّر وجودُها ملامح الجهاديين الفرنسيين ورموزهم»[64].

مع ذلك، وعلى الرغم مما تقدم ذكره عن أهمية شبكة الإنترنت، خصوصًا الـ «فيسبوك» بالنسبة إلى الجهاديين الفرنسيين، يرى المفكر الفرنسي جيل كيبل أن القوة الظاهرة لجهادية الجيل الثالث غير المهيكَلة تحمل أيضًا في طيّاتها مكمن ضعفها الشديد؛ إذ يجد معتنقو هذه الجهادية صعوبة كبيرة في الانسحاب من التواصل في العالم الافتراضي. وسمحت آلاف الرسائل ومقاطع

(64) Thomson, pp. 11-12.

الفيديو التي ينشرونها يوميًا عبر الإنترنت بجمع معلومات عنهم تتخطّى، بأشواط كبيرة، ما توصّلنا إلى معرفته عن تنظيم القاعدة بعد عام على هجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001[65].

من الإجراءات الجديدة المتّبَعة ضمن استراتيجية «داعش» في مجال الاتصالات، ولا سيما شبكة الإنترنت، أن هذا التنظيم يفضل استخدام تطبيق «تلغرام مسنجر» الروسي للرسائل الآمنة. ويقول مساعد الأمين العام لمنتدى أمن المعلومات الفرنسي فرنسوا باجيه: «ميزة هذا التطبيق هو أنه يرقّم الرسائل والمحادثات، كما أنها تُتلف من تلقاء ذاتها بعد انتهاء الاتصال»، في حين يشير مدير التسويق في شركة «لكسي» الفرنسية جيروم روبير إلى الاستشارات: «إن تطبيق 'تلغرام' كان أداة ناشئة لم يهتم لها أحد، أما اليوم، وبعد أن بات حديثَ الإعلام، سيتغير الأمر كثيرًا»[66].

---

(65) كيبيل.

(66) «يفضّلون «تلغرام مسنجر» الروسي للرسائل الآمنة».

الفصل الثالث

نشأة التطرف الإسلامي في فرنسا وحركة الإسلامويين نحو منطقة الشرق الأوسط

أولًا: نشأة التطرف الإسلامي في فرنسا وأسباب ظهور الجماعات المتطرفة

منذ ستينيات القرن العشرين، أصبح الإسلام الدين الثاني في فرنسا من حيث الأهمية، بعد الكاثوليكية مباشرة وقبل البروتستانتية واليهودية بأشواط. ينتشر المسلمون في مدن فرنسا وفي ريفها على السواء. وفرنسا دولة لا دينية منذ عام 1905، فهي لا تعترف بالأديان ولا تعاديها، إذ ينص دستورها في مادته الثانية على أنها: «جمهورية علمانية، لكنها تحترم كل الأديان». ومن الناحيتين النظرية والقانونية، يُعامَل الإسلام في فرنسا كما تُعامَل جميع الأديان، بما في ذلك الكاثوليكية التي كانت فرنسا تعتبرها ابنتها البكر قبل الثورة الفرنسية[1].

بشكل عام، هناك من يعزو تكوين الإسلاموية المتطرفة في فرنسا إلى التوجيهات الدينية المتشددة؛ تلك العقيدة الصارمة التي تُنسَب إلى المصريين رشيد رضا (1865-1935) وحسن البنا (1906-1946)، والهندوباكستاني أبو الأعلى المودودي (1903-1980)[2]. ويُشار أيضًا إلى أن الإسلام يُقدَّم في فرنسا

---

(1) «الإسلام في فرنسا»، ويكيبيديا، شوهد في: 23/ 1/ 2016، في:
https://goo.gl/t8Io0G.

(2) Olivier Carré & Michel Seurat, *Les Frères musulmans* (1928-1982), Comprendre le Moyen-Orient (Paris: L'Harmattan, 2001), p. 52.

على أنه دين غير منسجم مع قيم الديمقراطية والعلمانية، ويُتّهَم بأنه تهديد للهوية الفرنسية. ويعاني المسلمون اليوم في فرنسا وعدد من الدول الغربية الصورةَ السلبية للإسلام في وسائل الإعلام المختلفة التي تسعى إلى تغطية الحوادث المرتبطة بالإسلام بشغف كبير، يشجعها في ذلك إقبال الجمهور وتحفيز السياسيين هذه التغطية وتوظيفهم إياها في النقاشات الدائرة حول الهجرة والإدماج والهوية والإرهاب... أو استثمارها للتمويه على بعض المشكلات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية(3).

أدى فشل الحركات الاجتماعية والتنظيمات ذات الطابع الديني في احتواء القاعدة الاجتماعية لشباب الجيلين الثاني والثالث لمسلمي فرنسا - نتيجة انشغالها بالحسابات السياسية والمصالح الضيقة - إلى إفساح المجال أمام صعود الإسلام المتطرف المتشدد، بمن فيه تيار السلفية الجهادية، حيث نجح الأخير في استقطاب قطاعات من الشباب المسلمين في اتجاه القطيعة مع المجتمع الفرنسي من خلال الترويج لفكرة الفردية (individualism) بديلًا من طرح مشروع لتوحيد المسلمين في فرنسا. أدى الفشل المؤسسي للإسلام في فرنسا، بشقّيه الرسمي وغير الرسمي، بالتوازي مع صعود السلفية في الضواحي، إلى إحداث فراغين سياسي وأيديولوجي بدآ يسيطران على قطاعات من شباب الضواحي المهمشة، وتمكنت منظمات إرهابية خارجية

(3) يوسف نويوار، «واقع وآفاق تدبير الإسلام والمساجد والجمعيات الدينية الإسلامية بفرنسا»، الموقع الإلكتروني لمجلس الجالية المغربية في الخارج (23 كانون الثاني/ يناير 2016)، في:

http://www.ccme.org.ma/ar/entretiens-ar/37787.

من توظيفهما لخدمة مصالحها. وهذا ما يفسر اتجاه بعض الشباب المسلمين الفرنسيين إلى انتهاج العنف والإرهاب وسيلةَ تعبير عن الهوية على خلفية الأوضاع الاجتماعية المعقدة والتمييز الاجتماعي والمواقف غير الإيجابية للإسلام، داخل قطاعات كثيرة في المجتمع الفرنسي كما يظهر في استطلاعات الرأي الفرنسية بشكل شبه دائم(4).

إلى جانب كثير من المجالس والمنظمات والحركات الإسلامية(5) الذي يقود منذ عقود معظم الجالية الإسلامية في

---

(4) طارق دحروج، «إشكالية الإسلام في فرنسا: التناقض بين الأطر الرسمية وغير الرسمية»، الأهرام، 12/ 12/ 2015.

(5) من أبرز المعاهد والجمعيات والهيئات التي تمثل الإسلام في فرنسا:

- المعهد الإسلامي ومسجد باريس الكبير: دُشِّنَ في عام 1926، والمساجد الإقليمية التابعة له. اعتُبِر طوال عقود عدة، وبوصفه مؤسسة، الممثل الفعلي للإسلام في فرنسا. لكن بعد ضعف إشعاع هذه المؤسسة، منذ بداية التسعينيات، وظهور هيئات إسلامية أخرى تنافسها، أصبحت تمثّل الإسلام «المعتدل».

- اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا: تنظيم يعتبر نفسه امتدادًا لـ «الإخوان المسلمين»، ويدير بعض المساجد والمدارس والمخيمات الشبابية، كما يقيم مؤتمرًا سنويًا تحت اسم «الملتقى السنوي لمسلمي فرنسا» تُلقى فيه المحاضرات وتُعرض فيه الكتب الإسلامية. يدير معهدًا إسلاميًا - بحسب رؤيته للإسلام - يحمل اسمًا رسميًا هو «المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية»، ويقدم الكثير من دروسه بالمراسلة. ويسعى الاتحاد من خلال معهده إلى تخريج أئمة ونشر الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية.

- الفدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا: أُسست في عام 1985 برعاية رابطة العالم الإسلامي التي اعتمدت في إيجادها وتسييرها على فرنسيين اعتنقوا الإسلام، من أمثال الشيخ يعقوب روتي ويوسف لوكليرك. ثم تغيّر مع الزمن أعضاء مجلس إدارتها، فاستقلت عن الرابطة لتقترب من الحكومة المغربية، وتضم حاليًا أكثر من 150 جمعية.

=

فرنسا ويوجّهه، ويؤثر في أغلبية المجتمع المسلم في فرنسا بشكل واضح، نجد ثلاث شخصيات مهمة ومؤثرة هي جزء من السلطات الدينية المسلمة: الإمام والقائد الشاب ذو الكاريزما الدينية والفقيه ذو الكاريزما أيضًا[6].

هذا وتأتي جماعة الإخوان المسلمين، بفروعها المختلفة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، في مقدم الحركات الدينية المتعددة الجنسيات التي قامت بعملية «إعادة تموضع» (re-localisation) اكتسبت بمقتضاها الصبغة الأوروبية - الفرنسية، بإنشاء اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا في عام 1983، الذي تمكن من السيطرة على عدد كبير من الجمعيات والمساجد، ما جعله طرفًا رئيسًا في المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية الذي أنشأه وزير الداخلية آنذاك نيكولا ساركوزي في عام2003[7].

على غرار تلك المؤسسات الدينية الإسلامية وفي مواجهتها بالضد في الفكر والمنهج والخطاب، تضم الحركة المسلمة العلمانية أربعة مجالس: المجلس الفرنسي للمسلمين العلمانيين (CFML) المُؤسَس وفقًا للدستور؛ المؤتمر العلماني لمشاركة

= توجد جمعيتان كبيرتان لتمثيل الأتراك، تشرف السفارة التركية على إحداهما، والمعارضة على الأخرى. وتكوّنت أخيرًا جمعية «فاياكا» لتضم المساجد التابعة للأفارقة والقمريين والوافدين من جزر المحيط الهندي بصفة عامة.

انظر: «الإسلام في فرنسا».

(6) Franck Frégosi, *Penser l'islam dans la laïcité: Les Musulmans de France et la République*, collection les dieux dans la cite (Paris: Fayard, 2008), p. 168.

(7) دحروج.

المسلمين في الحقوق والواجبات في فرنسا (CLE)؛ حركة المسلمين العلمانيين لفرنسا (MMLF)؛ مجلس المسلمين الديمقراطيين (CMD) الذي نجد خطاب رئيسه عبد الرحمن داهمان يدعو إلى جهاد من نوع آخر في مواجهة الجهاد الإسلاموي المتطرف المبني على العنف والقتل؛ فهو يدعو إلى الجهاد الجمهوري[8] (Jihad républicain)، المستند إلى الدفاع عن المستضعَفين والمضطهَدين والمعرَّضين للعنف والابتزاز داخل المجتمع الفرنسي وخارجه.

أدركت المؤسسات والمنظمات الإسلامية المتطرفة خطأها بعد أكثر من عقدين من الزمن على إنشائها، عندما وجدت نفسها تمزج بين الموضوعات المتعلقة بالعبادات وممارسة الشعائر الدينية من جهة، والمعارك الأيديولوجية، من أجل الإغواء، من جهة أخرى، مثل: «منع تشييد مساجد بمآذن وقباب، وإلزام التلميذات المسلمات خلع الحجاب عند بوابات المدارس، وضواحٍ مهملة، والتذكير بالماضي الاستعماري، وإدامة إثارة موضوع الصراع العربي - الإسرائيلي، وغيرها من الموضوعات. لعل هذه المؤشرات جعلت من فرنسا اليوم مركزًا للتأهيل المثالي

---

(8) في مداخلة له في منطقة أوبيرفيل، 3 نيسان/أبريل 2013، يقول: «إن جهادنا في فرنسا هو احترام لقيم الجمهورية؛ جهادنا هو تضامن ومساعدة إنسانية ضرورية للشعب العراقي؛ جهاد الديمقراطيين المسلمين هو بمنزلة مشاركة سياسية وتعبير عن حب فرنسا، جهاد الديمقراطيين المسلمين هو من أجل الدفاع عن المواطنين من الديانات الأخرى ضد هجمات البلطجية المتطرفين من جميع الانتماءات». ولمزيد من التفصيلات، انظر:

Manuel Valls, *L'Exigence*, collection documents français (Paris: Editions Grasset & Fasquelle, 2016), p. 8.

للجهادية العالمية، كما يصفها فرانسوا فيغو»[9]. وأذكر في أدناه أهم الأسباب التي قادت إلى ظهور التوجهات الإسلاموية المتطرفة وتناميها عند المسلمين في فرنسا بشيء من التفصيل.

1- الإسلاموفوبيا والعنصرية

منذ ظهور مفهوم «الإسلاموفوبيا» في الأدب الاستعماري الفرنسي مع مطلع القرن العشرين، ذُكِر حالًا في استخدامات متعارضة، بدلًا من أن يكون وجهة نظر أشخاص يختلفون في الآراء والمعتقدات[10].

ارتبط الاهتمام بقضايا الإسلام والمسلمين في أوروبا بحوادث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وقضايا مثيرة مثل قضية الرسوم الكاريكاتورية في الدانمارك، وتورط عدد من أبناء الجوالي المسلمة المختلفة في أوروبا في أعمال عنف وإرهاب داخل أوروبا. يُقدّم الأكاديمي فريد هاليداي، في كتابه المعروف عن حوادث أيلول/ سبتمبر 2001 وتداعياتها تحليلًا أكثر شمولًا وعمقًا لجذور قضية الإسلاموفوبيا[11]. يعترض هاليداي في البداية على مصطلح الإسلاموفوبيا، إذ يرى أن القضية تتعلق بظهور العداء للمسلمين، كشعوب أو جوالٍ مهاجرة، في إطار بيئة تاريخية واستراتيجية واجتماعية معينة، ولا تتعلق بالاعتراض

(9) François Vignolle et Azzedine Ahmed-Chaouch, *La France du Djihad* (Paris: Editions du moment, 2014), p. 12.

(10) Isabelle Kersimon & Jean-Christophe Moreau, *Islamophobie: La Contre-enquête*, hors collection (Paris: Plein Jour, 2014), p. 271.

(11) Fred Halliday, *Two Hours that Shook the World: September 11, 2001: Causes and Consequences* (London: Saqi Books, 2002), p. 22.

على الإسلام بوصفه دينًا. لذا، لا يعتبر هاليداي العداء للمسلمين منظومة فكرية متكاملة في حد ذاته، بل هو «شبه أيديولوجيا»، يرتبط ظهوره بوجود مشكلات أخرى، مثل التباين الإثني، والمشكلات الاقتصادية والمجتمعية، والاستغلال السياسي لهذا العداء من أجل حشد الدعم والأنصار[12].

إذا ما رجعنا إلى الماضي البعيد، فسنجد أن رائحة الإسلاموفوبيا تفوح من بين كتابات كثير من المفكرين والكتّاب الفرنسيين، في حين لوحظ بعد عام 2010 نشوء نوع جديد من التعبئة والدينامية في صفوف مسلمي فرنسا وممثليهم الذين استشعروا خطر ظاهرة الإسلاموفوبيا على واقع المسلمين ومستقبل أبنائهم. ويمكن القول إن مكافحة هذه الظاهرة قطعت أشواطًا متقدمة في فرنسا؛ فإضافة إلى التنسيق المباشر والمتواصل بين المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية ووزارة الداخلية بهذا الشأن[13]، برز بعض الهيئات التي جعلت من هذا الموضوع هدفها ومحور نشاطها كله، لعل في مقدمها مرصد الإسلاموفوبيا (L'Observatoire de l'Islamophobie)، وهو مرصد أنشأه المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية في 23 حزيران/ يونيو 2011 لإحصاء وتتبّع جميع أشكال التمييز والجرائم التي تستهدف المسلمين فوق التراب الفرنسي، وكذا الاتحاد ضد الإسلاموفوبيا في فرنسا

---

(12) كارن أبو الخير، «ملامح الجدل الأوروبي حول الهجرة والإسلام»، السياسة الدولية، العدد 189، 2012، في:

https://goo.gl/AzmraE.

(13) في 17 حزيران/ يونيو 2010، وقّع المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية ووزارة الداخلية اتفاقًا إطاريًا لتتبع الأفعال المعادية للمسلمين في فرنسا وإحصائها.

(Collectif contre l'Islamophobie en France)، وهو جمعية فرنسية ناشطة تهدف إلى مكافحة التمييز والأحكام المسبقة والاعتداء على المسلمين بسبب انتمائهم الحقيقي أو المفترض إلى الديانة الإسلامية. كما تقدم إلى الضحايا مساعدة قانونية ونفسية، وتعمل كذلك على إحصاء حالات التمييز ضد المسلمين وتصنيفها وتتبّعها[14].

تكتب إليزابيث شيلا في كتابها الإسلام والمحنة الفرنسية *(Islam, L'épreuve française)*، الصادر في باريس في عام 2013، فصلًا بعنوان «أنت مسلم، نحن مذعورون»، تتحدث فيه بكلمات إسلاموفوبية واضحة، إذ تقول: «الفرنسيون مرضى بالإسلام. الفرنسيون ينتابهم الخوف من الإسلام. إسلام، إسلام، إسلام.... خوف، خوف، خوف.... إسلام، خوف، إسلام، خوف، إسلام، خوف... ممّ الخوف، بالتأكيد عند سماع مفاتيح هذه الكلمات طوال النهار! لكن في الأساس، هل الفرنسيون على حق عندما يتملكهم الخوف من الإسلام؟ إذا ما اعترف المرء - في الأقل - بأن ذلك آتٍ من الشمولية الدينية في العمل، ولا سيما من جماعات مستعدة لتنفيذ أعمال العنف - وهي موجودة فعلًا - لكن أيضًا، وبالأخص، من مئات من المسلمين الذين عندهم جميع العلامات والمظاهر الخارجية للتطرف الديني، وسلوك أفعال منحرفة في فرنسا»[15].

---

(14) نويوار.

(15) Elisabeth Schemla, *Islam, L'épreuve française*, collection tribune libre (Paris: Plon, 2013), p. 19.

في دراسة حديثة أجراها معهد IPSOS لجريدة لوموند، صدرت في 24 كانون الثاني/يناير 2013، جاء أن المجتمع الفرنسي يُقابِل الدين الإسلامي برفض وتخوف كبيرَين: 39 في المئة من السكان يرون أن الإسلام ديانة غير متسامحة، و74 في المئة يعتقدون أنها غير منسجمة مع قيم الجمهورية الفرنسية[16].

لذا، لا غرابة في أن نرى أن ثمة ما يكفي من الأسباب لإطلاق صفارات الإنذار وتحريك اليمين المتطرف، عن حق أو عن باطل، ضد المهاجرين العرب والمسلمين، واعتبارهم مصدر الشرور والمشكلات الأمنية والاقتصادية في فرنسا وفي أوروبا[17].

في أيامنا هذه، لم تنقطع الأصوات التي تتحدث بمنطق الإسلاموفوبيا، حيث نجد الكاتب الفرنسي فيليب مور يهاجم الإسلام والمسلمين في كتابه **أعزائي الجهاديين** *(Chers djihadistes)*، وهو يخاطب الجهاديين بسخرية وتهكم، قائلًا: «أعزائي الجهاديين، إنه أمر مفروغ منه، أننا نعتبر التاريخ بمنزلة إله غير مخلوق. هكذا افترضنا أنه كان بلا بداية، وتوصّلنا إلى أنه سيكون بلا نهاية أيضًا. تعلموا إذًا أعزائي الوحوش - وهذه هي واحدة من أولى مواد عبادتنا - أن الإله الذي تدّعون بلا هوادة أنه الله، في القرآن، أرسل عددًا من الرسل الطيبين من الديانتين الأخريين المسميتين 'أهل الكتاب'»، مضيفًا: «في حين لم يتوقف

(16) نوبوار.

(17) آسيا العتروس، «تأخر فرنسا في تطويق ظاهرة الجهاديين بسوريا ضاعف المخاطر على تونس والمنطقة»، الصباح (تونس)، 4/ 5/ 2014.

هذا الكتاب - أي القرآن - عن التدخل الشخصي في التاريخ ولو مرة واحدة». ثم يردف مقارنًا بين من يسميهما إلهَي اليهود والنصارى، واصفًا إياهما بالقائدين والمحررين، وإله المسلمين بالقول: «وعلى العكس - أي على عكس إلهَي اليهود والنصارى - فإن إلهكم لا يستطيع أن يأتي بشيء بما أن دينكم تقريبًا غير واضح ومكشوف»[18].

ما قدّمته من أمثلة مقتضبة عمّا يرد في كتابات إسلاموفوبية يجاهر بها مفكرون وكتّاب فرنسيون من دون مراعاة مشاعر المسلمين في بلدهم، وهي لا تتعدى الإسلام إلى أي دين آخر، هو غيض من فيض ما يُكتب ويُقال في فرنسا، وهذا يزيد من حالات الكراهية والعداء بين المسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى في هذا البلد، بما لذلك من انعكاسات سلبية خطِرة، لعل أبرزها التطرف الديني.

ربما يُعزى جزء كبير من التوجهات الرامية إلى منع الاندماج في المجتمع الفرنسي إلى تبنّي الإسلاموفوبيا ومسايرة العنصرية؛ إذ ساهم بعض الكتّاب المسلمين العرب بشكل سلبي في تحقيق عملية الاندماج هذه. فإذا رجعنا إلى عبد الوهاب مدب، الكاتب والصحافي التونسي الأصل الفرنسي الجنسية، الذي نشر كثيرًا من الكتب والمقالات المضادة للإسلام والاندماج في المجتمع الفرنسي، نجد أن محتوى كتابه الصادر بالفرنسية مرض الإسلام *(l'Islam La maladie de)* مضاد للاندماج

(18) Philippe Muray, *Chers djihadistes*..., collection essai (Paris: Fayard/ Mille et une nuits, 2012), pp. 92-93.

ومستنفر هويات عدة، إذ انصب تركيزه على موضوع «الإسلام السياسي» الذي يمثّل تحديًا لأوروبا عمومًا وفرنسا خصوصًا، وكان موضع نقد المؤلف الذي انتقد ما سماه «الذهنية الإسلامية المعاصرة» التي هي من وجهة نظره «نتاج تاريخ طويل من الاستبداد والانحطاط الثقافي!!»[19].

نجد في الجانب الآخر - وهي مسألة مثيرة للانتباه - أن الكاتب والصحافي الفرنسي إيدوي بلينال[20] يُدين في كتابه من أجل المسلمين *(Pour les musulmans)* المثقفين الفرنسيين الذين يخلطون عمدًا - تحت وطأة خلفيات أيديولوجية عنصرية - بين الإسلام والإرهاب والعنف، إذ يشير إلى «أن الإسلاموفوبيا بلغت حدًا ما عاد من الممكن السكوت عليها أخلاقيًا، لأن الأمر أصبح خطِرًا يهدد بانهيار النسيج الاجتماعي الفرنسي نتيجة تبرير العنف ضد عموم المسلمين، في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات الاجتماعية أن معظمهم يعيش في وئام تام ويساهم في تنمية المجتمع على الأصعدة كلها». وتزايدت في نظر الكاتب التوجهات نحو تحميل المسلمين والمهاجرين بوجه عام مسؤولية تأزم فرنسا في الأعوام الأخيرة، بتقديمهم فرنسيين مشبوهين وحاقدين[21].

---

(19) Abdelwahab Meddeb, *La Maladie de l'islam*, collection la couleur des idées (Paris: Seuil, 2002), p. 117.

(20) شغل الكاتب منصب رئيس تحرير صحيفة لوموند، ثم استقال وأسّس موقع «ميديا بارت» المستقل، وكشف عن كثير من الفضائح السياسية التي هزت الساحة الفرنسية.

(21) Edwy Plenel, *Pour les musulmans* (Paris: La Découverte, 2014), p. 53.

لعل هذا الرأي، والرأي الذي سبقه، يثيران الدهشة والاستغراب في آن؛ ففي الوقت الذي يدين فيه بلينال الإسلاموفوبيا في فرنسا، نجد أن مدب، العربي الأصل، يسكت - إن لم نقل يُداهن - الإسلاموفوبيين ويزعزع التكوين الهش لاندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي، في حين أن عدم المعارضة أو الوقوف بوجه دعاة الإسلاموفوبيا يثير هو الآخر تساؤلات عدة عن أسباب صمت الدولة الفرنسية والإعلام الفرنسي، بل حتى أغلب المفكرين والكتاب الفرنسيين عن تجاوزات الإسلاموفوبيا في عموم فرنسا.

في المقابل، نجد أن الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي يَمثل أمام المحاكم الفرنسية بسبب كتابه **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية** بتهمة الترويج لأفكار معادية للسامية والإساءة إلى اليهود تحت ذريعة تقديمه تفسيرًا خاطئًا للتوراة. ومن ضمن التهم الملصقة به أيضًا أنه لا يعتقد بوجود غرف الغاز (المحرقة أو «الهولوكوست») بالشكل الذي يبالغ اليهود في شأنه، فتشن الصحافة في فرنسا حملة كبرى للتشهير به من دون أن يعطى الحق في الرد؛ إذ رفضت الصحف الكبرى جميعها طلبه في ذلك الحق، علمًا بأنه حق مكفول للجميع في الصحافة الغربية، والفرنسية بالذات[22].

من أجل الوقوف على مخاطر الإسلاموفوبيا وتداعياتها في فرنسا واستغلالها مصالح سياسية، وهذا ما حذّر منه كبار

(22) عبد الله يوسف سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، دراسات استراتيجية 57 (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001)، ص 49.

المسؤولين الفرنسيين، لا بد من العودة إلى طروحات بلينال الذي يستشهد بمواقف قادة فرنسيين كبار من اليمين واليسار واليمين المتطرف، من أمثال ساركوزي وفالز ولوبان وآخرين، بيّنوا أن معاداة المسلمين بشكل عام والمهاجرين بشكل خاص أصبحت تشكّل إجماعًا أيديولوجيًا من أجل الوصول إلى السلطة والتغطية على الفشل الفرنسي العام على المستويات كلها، ورفض القبول بواقع أن الإسلام مفردة ثقافية نابعة من صلب تطور التاريخ السوسيولوجي الفرنسي[23].

في هذا السياق المتعلق بالتوظيف السياسي للإسلاموفوبيا، أنزلت النيابة العامة الفرنسية عقوبة السجن شهرين في زعيم اليمين المتطرف جان ماري لوبان بتهمة الحض على كراهية الإسلام في ملصق انتخابي[24]. يشار إلى أن لوبان هذا بنى

(23) Plenel, p. 122.

(24) يعود هذا الملصق موضوع الدعوى إلى شباط/ فبراير 2010 خلال حملة الانتخابات المحلية، ونشرته يومها «حركة الشبيبة التابعة للجبهة الوطنية» في مقاطعة بروفانس- آلب - كوت دازور، كما نشر على مواقع إلكترونية عدّة، وهو بعنوان «لا للتطرف الإسلامي»، تظهر فيه امرأة منقّبة خلفها خريطة فرنسا مرسومة بألوان العلم الجزائري وتعلوها سبع مآذن على شكل صواريخ. وسبق أن أمر القضاء الفرنسي الجبهة الوطنية بسحب هذا الملصق. وخلال الجلسة، عمد فالراند دو سين - جوست، محامي الدفاع عن لوبان الذي غاب عن جلسة المحاكمة، إلى استغلال التهديد الذي وجهه زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن إلى فرنسا في حينه. وقال المحامي محذرًا المحكمة: «نحن اليوم مهدَّدون من التطرف الإسلامي (...) هل ستقولون في حكمكم إن معارضة التطرف الإسلامي ما عادت ممكنة؟ انتبهوا جيدًا...». وفي خلال مرافعته المطولة، ركّز محامي الدفاع على فكرة أن الملصق يقول «لا للإسلام المتطرف وليس لا للإسلام». وأضاف: «هذه محاكمة نوايا للوبان»، سائلًا القاضي: «هل تريدون أن تقولوا في حكمكم إن الإسلام المتطرف والإسلام سيان؟ هذه فضيحة!».

القسم الأكبر من حياته السياسية على خطاب شعبوي ومعادٍ للمهاجرين، وهذا ما سمح له في عام 2002 ببلوغ الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية[25]. وردًا على مرافعة الدفاع، قال أنطوان ليفي، أحد محامي منظمة «أس أو أس راسيزم» المناهضة للعنصرية، «إنه من السهولة القول إننا لا نستهدف المسلمين لأننا كتبنا كلمة الإسلام المتطرف»، مضيفًا: «هل نرى الإرهاب؟ هل نرى القاعدة؟ هل نرى بن لادن؟ كلا!». وأُحيل الحكم إلى التداول في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر. كما طلب المدعي العام من محكمة الجنح في باريس تغريمه مبلغ 20 ألف يورو[26].

هنالك بيانات إحصائية تصدر على شكل تقارير سنوية في شأن الإسلاموفوبيا، يتم تداولها بلا رقابة أو سيطرة من جميع

(25) هذه التوجهات ذاتها التي ساعدت في تصدّر حزب الجبهة الوطنية بقيادة مارين لوبان - ابنة مؤسس الحزب التي خلفته في قيادته - الجولة الأولى من الانتخابات المحلية الفرنسية التي جرت في 16 كانون الأول/ديسمبر 2015؛ إذ قدّمت اعتداءات 13 تشرين الثاني/نوفمبر في العام نفسه، وخطاب حزب الجبهة الوطنية القومي والمعادي للمهاجرين واللاجئين مع تزايد موجات الهجرة إلى فرنسا، واتهام بعض المهاجرين بالاشتراك في العمليات الإرهابية في باريس، إلى حزب الجبهة الوطنية فرصة إضافية للحصول على مزيد من أصوات الناخبين في الجولة الأولى، ولا سيما المترددين الذين لا يميلون إلى حزب بعينه؛ ذلك أن مسألة المهاجرين لم تزل تقلق فرنسا والفرنسيين كثيرًا.

انظر: وليد كاصد الزيدي، «انحسار تسونامي حزب الجبهة الوطنية في الجولة الثانية من الانتخابات المناطقية الفرنسية 2015»، صحيفة المثقف، 17/ 12/ 2015، في:

http://almothaqaf.com/index.php/araa2015/900801.html.

(26) «محاكمة زعيم اليمين المتطرف في فرنسا بسبب ملصق انتخابي معادٍ للإسلام»، وكالة الأنباء الفرنسية، 29/ 10/ 2010.

وسائل الإعلام الفرنسية، في حين أصبحت تصدر عن جمعيتين منفصلتين بلا تنافس بينهما: التجمع ضد الإسلاموفوبيا في فرنسا (CCIF)، والمرصد الوطني ضد الإسلاموفوبيا (ONCI)، بعد التشاور مع وزارة الداخلية الفرنسية والمجلس الفرنسي للجالية المسلمة (CFCM)؛ إذ تشير الإحصاءات إلى زيادة الأعمال المعادية للمسلمين في فرنسا في عام 2012 بنسبة 57 في المئة، بعدد 469 حادثًا، في حين أشار تقرير عام 2011 إلى 298 حادثًا بحسب CCIF، وبنسبة 34 في المئة بحسب ONCI، الذي حدد من جهته 201 من الأعمال في عام 2012، و155 عملًا في عام 2011. وفي عام 2013، زادت تلك الأعمال والممارسات العدائية للمسلمين بنسبة 11.3 في المئة بحسب ما ورد في تقرير عام 2012 تبعًا لـ ONCI، وكان عددها 226 حادثًا؛ وبنسبة 47 في المئة تبعًا لـ CCIF وبعدد 691 حادثًا[27]، في حين نجد في استبيان آخر أنه طُلِبَ من المسلمين، سواء الفرنسيين أم الأجانب، التعبير عمّا يرغبون في أن تقدمه إليهم الحكومة الفرنسية، فكانت النتائج: رغب 58 في المئة من الذين شملهم الاستبيان في الحصول على معرفة أفضل لقيم الإسلام، وفضّل 36 في المئة بناء مساجد، في حين أيّد 14 في المئة فقط السماح بارتداء الحجاب في المدرسة. ليس اعتراف المجتمع الفرنسي والدولة دينيًا فحسب، بل ثقافيًا أيضًا، وهذا أمر جوهري. فعلى سبيل المثال، تزداد حماسة أبناء الضواحي الذين يزورون معهد العالم العربي في باريس وتتغير أفكارهم عندما يرون، أول مرة،

(27) Kersimon & Moreau, p. 9.

حضارة بلدانهم الأصلية العريقة جزءًا متميزًا من الثقافة العالمية، ومنها الثقافة الفرنسية[28].

في 22 حزيران/ يونيو 2006، نُشر تقرير عنوانه «كيف يرى الغربيون والمسلمون أن مسلمي الغرب هم أكثر اعتدالًا؟»، وهو نتيجة استبيان أجراه مشروع البحث العالمي (بيو) الذي يُعد من الوكالات الأميركية الرئيسة التي تعمل على قياس المواقف الدولية عبر العالم من خلال الاستبيانات الاعتيادية، وذلك بعد ستة شهور تقريبًا على أعمال الشغب التي حدثت في فرنسا. بدأت الأضواء تُسلَط على سمات معينة خاصة تتعلق بمسلمي ما يسمّى l'hexagone[29]، فمن بين البلدان التي شملتها الدراسة، كان 74 في المئة من الفرنسيين الأوائل يعتقدون أن لا صراع بين أن تكون مسلمًا تقيًا وأن تعيش في مجتمع متمدن. وهناك 65 في المئة من المشمولين بالاستبيان لديهم انطباع جيد عن المسلمين. ويوجد 91 في المئة من المسلمين الفرنسيين ذوي انطباع حسن عن المسيحية، والصفات التي تُنسب إلى الغربيين من المسلمين: أنانيون، متغطرسون، عنيفون، متعصبون، غير أخلاقيين[30].

---

(28) Alain Gresh & Tariq Ramadan, *L'Islam en questions*, collection Babel (Paris: Sindbad, 2000), pp. 301-302.

(29) وهي تُعَبر عن امتداد فرنسا من البحر الأبيض المتوسط إلى بحر المانش حتى بحر الشمال، ومن نهر الراين إلى المحيط الأطلسي. وهي واحدة من ثلاث دول (إلى جانب المغرب وإسبانيا) التي لها سواحل أطلسية وأخرى متوسطية، غالبًا ما يشار إليها السداسي (بالفرنسية: Hexagone) نظرًا إلى شكلها المسدس. انظر:
«Hexagone (France),» *Wikipedia, dans*: https://fr.wikipedia.org/wiki/Hexagone_(France).

(30) Gilles Kepel, *Terreur et martyre: Relever le défi de civilisation, collection essais* (Paris: éditions Flammarion, 2008), pp. 274-275.

في هذا السياق، لعل ما أفصحت عنه الاستبيانات الآنفة الذكر هو إشارة إلى وجود توجهات إيجابية عند أغلبية الفرنسيين تجاه الإسلام وشعائره وتجاه المسلمين الفرنسيين بوصفهم جزءًا من الشعب الفرنسي، يُمكن أن تُوظَّف لوقف تنامي الإسلاموية المتطرفة من جهة، ووقف توجهات الإسلاموفوبيا والممارسات العنصرية تجاه المسلمين والعرب من جهة أخرى. في الوقت ذاته، ينبغي ألا نقلل من تأثير الإسلاموفوبيا في مسلمي فرنسا، خصوصًا من ذوي الأصول العربية؛ ذلك أننا نرى عددًا كبيرًا من هؤلاء لم يجد مكانه في المجتمع، وهو يعاني الممارسات العنصرية، حيث أثَّرت لربما في أغلبيتهم حوادث معينة، انعكست على ردات فعلهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وهي التي يسميها مستجوبهم عالم الاجتماع فرهاد خسروخافار[31] «الأنموذج الأول» الذي يُعد الشرارة في الاتجاه نحو التطرف. ففي حال أحد المُستجوبين المدعو حسن الذي يعيش في فرنسا منذ مدة طويلة، نجد أن شتم شقيقته ووصْفها بـ «عربية قذرة» دفعاه إلى التساؤل مجددًا على نحو عميق: «منذ تلك اللحظة طرحت على نفسي أسئلة جذرية، سألت نفسي إن كنت فرنسيًا بما يكفي».

هكذا، نجد أنه في الوقت الذي كان يظن فيه نفسه فرنسيًا، اندفع عندما تعرضت أخته للشتم في المدرسة، نحو التطرف، كما يحلل ذلك خسروخافار، وهو يقول: «... إن الإسلامويين الشهود

(31) قابل عالم الاجتماع عشرة من الإسلامويين الفرنسيين الذين سُجنوا بتهمة تكوين مجموعة إرهابية متطرفة بنيّة القيام بعمل إرهابي. وأقوال الناشطين الإسلامويين الفرنسيين (حسن وإحسان وموسى ومهدي وكريم ومجيد وحسين - فرانسوا) الواردة في هذه الدراسة مستقاة من مقابلات أجراها خسروخافار معهم في معتقلهم.

هنا، يسهبون كثيرًا في مسألة العنصرية والوصمة التي يعانونها في المجتمعات الغربية، ويتردد الحقل اللغوي للاضطهاد في خطابات المعتقلين المختلفة... أمثال: حسن، إحسان، موسى، مجيد، مهدي، وهم يعلنون امتعاضهم من مفردات، مثل: ازدراء، نبذ، استغلال، تحمُّل المهانة، معاداة الإسلام، التكالب على الإسلام والعرب، الظلم، الهيمنة... وغيرها». فإذا ما كانت الجالية الإسلامية التي تعيش في الغرب، وفي فرنسا على وجه الخصوص، حقًا ضحية للعنصرية، لا يمكننا اكتشاف صلة سبب بنتيجة، باعتبار أن أغلبية هؤلاء الناس تعيش غير آبهة بها، وهي مشكلة الخصوصية التي تُطرح من جديد، أمّا مسألة العنصرية، فتؤدي دورًا مؤكدًا في عملية التطرف[32].

على الرغم ممّا تقدم عرضه أعلاه من توجهات إسلاموفوبية في فرنسا، فإن الدولة الفرنسية تنحو منحًى آخر، من خلال محاولتها تخفيف وطأة الإسلاموفوبيا التي ما انفكت تُثار من جماعات يمينية متطرفة ووسائل إعلام وكتّاب وصحافيين... وغيرهم. مثال ذلك ما يشير إليه التصريح الرسمي لموقع وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية: «إن الإسلام، بتنوع مدارسه وشعائره وممارساته، جزء لا يتجزأ من المجتمع الفرنسي، على غرار جميع المعتقدات الأخرى السائرة في بلدنا. والعلمانية الجمهورية مبدأ تسامح؛ إذ تضمن لكل المواطنين، مهما كانت معتقداتهم الفلسفية أو الدينية، العيش معًا في ظل احترام حرية الوعي، وحرية ممارسة ديانة ما أو عدم ممارسة أي دين. وتبقى فرنسا، عمومًا، متمسكة بشدة باحترام تنوع الثقافات، وبحرية

---

(32) Farhad Khosrokhavar, *Quand Al Qaïda parle: Témoignages derrière les barreaux* (Paris: Grasset et Fasquelle, 2006), pp. 43-44.

الوعي»[33]. يقول فيليب ميغو[34]: «مع أن الجمهورية الفرنسية من دعاة النظام العلماني، إضافة إلى دعمها قيم المساواة والحرية والأخوّة، فإن قانون الفصل بين الكنائس والدولة الذي وُضِعَ في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر 1905، غالبًا ما يُفسَّر بشكل خاطئ، إذ جاء هذا القانون تكليلًا للجدل التاريخي المطوّل حول مكانة الكنيسة ونفوذها في عملية بناء الأمّة الفرنسية[35].

من الجدير بالذكر أن هناك نشاطًا لجمعيات مناهضة للإسلاموفوبيا في فرنسا - جرت الإشارة اليها آنفًا - من بينها التجمع ضد الإسلاموفوبيا في فرنسا، وهو التجمع الذي يدافع عن المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد والظلم الآتيين من الممارسات الإسلاموفوبية في هذا البلد، بما يكفل إتاحة الحرية اللازمة لممارسة المسلمين شعائرهم الدينية بحرية تامة، ضمن حدود ما تسمح به القوانين الفرنسية، إلا أن دورها محدود التأثير في الساحة الفرنسية.

2- الظلم والتهميش

ربما يكون النشء المسلم في أوروبا الأكثر معاناة من البطالة التي تدفع إلى الانحرافات والجريمة، بل إن نسبة عالية

---

(33) انظر: «ماذا تفعل فرنسا ضد داعش؟»، موقع وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، 17/ 1/ 2015، في:

https://goo.gl/w8LpDC.

(34) باحث فرنسي في قضايا الإرهاب، أستاذ في معهد الدارسات السياسية بباريس (Institut d'Etudes Politiques de Paris).

(35) فيليب ميغو، «فرسان العزّة.. من الاحتجاج المتطرّف إلى تهيئة الإرهاب»، مركز المسبار للدراسات والبحوث (2 شباط/ فبراير 2016)، في:

https://goo.gl/052bkm.

من الأحداث المتورطين في الخروج على القانون في فرنسا هم من المسلمين، إلى الدرجة التي يحاول معها العنصريون إلصاق صورة الاتجار بالمخدرات وممارسة العنف والسرقة بالعربي والمسلم[36]. لذا، لعل عدم التزام الحكومات الفرنسية المتعاقبة الوعود التي قطعتها للقضاء على مشكلات البطالة وتجارة المخدرات والسلاح ومعالجة الفشل الدراسي في مناطق الضواحي أدى إلى فشل الأنموذج السياسي في معالجة انسجام المهاجرين في المجتمع الفرنسي. هذه الأسباب كلها دفعت هذه الشريحة الكبيرة إلى البحث عن هوية أخرى مناقضة للهوية الفرنسية لتكون صيدًا سهلًا لجماعات التطرف والعنف[37]. كما أن التهميش السياسي للفرنسيين من أصول مهاجرة، ومحدودية تمثيلهم بوزراء ونواب في المشهد السياسي الفرنسي، أثارا مسألة الظلم والحيف الواقعين على هذه الفئة الاجتماعية المهمة والكبيرة في المجتمع الفرنسي.

في هذا الصدد، تعاني الشرائح المسلمة الشابة تداعيات التهميش الاجتماعي، مثل قلة عدد أندية الترفيه والألعاب الرياضية في أوساطها، علاوة على نشأتها في أحزمة الفقر التي

---

(36) «الموسوعة المسيحية: عدد المسلمين في العالم ارتفع 7 في المئة خلال القرن الماضي»، الشرق الأوسط، 22/ 3/ 2001.

(37) لقاء في باريس على هامش أحد الاحتفالات الدينية مع عدد من الإسلاميين الفرنسيين المعتدلين من أصول مغاربية. يُمثِّل بعض منهم الجيل الثاني من المهاجرين ويمثل بعضُهم الآخر الجيل الثالث، وهم أبدوا تذمرهم بسبب معاناتهم كثيرًا من الممارسات العنصرية والإسلاموفوبية التي يواجهونها في المجتمع الفرنسي، كونهم مسلمين عربًا.

تحيط بالمدن الكبرى، ما سبب تفشي ظواهر العالم السفلي كالجريمة والسموم البيضاء والدعارة، وذلك في وقت تسعى فيه المساجد والمراكز الإسلامية إلى تعويض جانب كبير من هذا الفراغ، ولا سيما مع إقبال أبناء المهاجرين عليها بصورة متزايدة[38].

تدفع مخاطر الظلم والتهميش الاجتماعي والإهانة الشباب المسلمين إلى الانحراف والجريمة من جهة، وإلى التطرف الذي يأخذ بأيديهم نحو الانضمام إلى الجماعات المتطرفة، معتقدين أنها توفر حلولًا لمشكلاتهم المستدامة والمستعصية، من جهة أخرى. تقول الباحثة الفرنسية الأنثربولوجية دنيا بوزار في كتاب صدر لها مؤخرًا بعنوان «**كيف الخلاص من الاستلاب الجهادي؟**»: «إن الخطاب السلفي المتطرف يحوّل مشاعر الإهانة والظلم التي يعاني بعض الشباب من المسلمين الفرنسيين بسببها إلى مشاعر قوة وانتقام»[39].

هكذا، نجد تشخيصًا يشير إلى أن الطبقة المتوسطة هي رأس الحربة في الجهاد العالمي، باعتبار أن المهمشين هم الأقلية[40].

---

(38) «الموسوعة المسيحية: عدد المسلمين في العالم ارتفع 7 في المئة خلال القرن الماضي».

(39) عزام أمين، «الجهاديون الفرنسيون: من هم؟ وكيف يتم تجنيدهم؟»، ميكرو سوريا، 17/ 11/ 2015، في:

https://goo.gl/EwUlWm.

(40) Sophie Viollet, *L'Islamisme radical et l'occident: Les logiques du ralliement aux formations islamistes dites radicales dans les sociétés occidentales*, Collection Essai (Paris: éditions du Cygne, 2013), p. 43.

يتمثل أحد الأمثلة على ذلك في موسى، الناشط الفرنسي العربي الأصل وأحد المستجوَبين من خسروخافار. يقول: «من الحق في الحياة أن يظهر الإسلام المتطرف دواءًا لكسر دائرة المهانة والذل. يقترح خسروخافار، في هذا الصدد، تصنيف مفردة المهانة باعتبارها أحد الآثار الكبرى التي تدفع المُهان إلى الانضمام إلى الإسلاموية والتطرف»[41]، في حين يعرب ناشط آخر يدعى نعيم عن غضبه من خلال مبررات جيوسياسية، مثل غزو الولايات المتحدة وفرنسا لأفغانستان ومن ثم العراق، وهجمات الطائرات الأميركية من دون طيار على اليمن وباكستان وقتل عدد كبير من المدنيين، فضلًا عن حرب فرنسا في مالي، وقانونها ضد الحجاب المتكامل، ومساندتها الدكتاتوريين العرب، وغير ذلك. ثم يردف معبّرًا عن ردات فعله إزاء تلك الممارسات بالقول: «لا غموض في هذه المسألة، يجب مهاجمة الكفار في كل مكان أينما وجدناهم، ومن الأفضل تنفيذ ذلك في بلدانهم، لأنهم لم يعتادوا رؤية الموت ورؤية الدم ولا خوض الحرب. هم موافقون على الحرب عندما لا يرونها، هم موافقون على الموت عندما لا يرونه، وهم لا ينصدمون بموت الأطفال في كل الأيام، لأنهم لا يَرَوْنهم. في الآونة الأخيرة قُتل لنا تسعة عشر طفلًا، أطفال وفتيات صغيرات، بأدمغة منفجرة. إنهم لا يرون ذلك ولا يهمهم. أما هؤلاء الشباب، وعلى النقيض من ذلك، فلا مال كافيًا في جيوبهم عندما ينتهي الشهر، لكنهم يخرجون للتظاهر»[42].

---

(41) Khosrokhavar, p. 32.

(42) David Thomson, *Les Français jihadistes*, collection politique actualités (Paris: éditions Arènes, 2014), pp. 223-224.

إذا أردنا تقديم مثال على ردات فعل الشباب المسلمين تجاه سياسة التمييز ضدهم، خصوصًا من أبناء الضواحي، فإن إرهاب عقد التسعينيات كان مرتبطًا بالداخل الفرنسي، بداية من تفجيرات مترو - باريس عام 1996 التي عُرفت بظاهرة خالد قلقال، أحد شباب الضواحي الذي خطط تلك العمليات ونفذها على خلفية خطاب سياسي مرتبط ظاهريًا بحوادث الشرق الأوسط، إلا أنه كان في جوهره احتجاجًا على التمييز الذي تعرَّض له مسلمو فرنسا على صعيد التوظيف وفرص الحصول على المسكن وما إلى هنالك[43].

في «مركز الوقاية من الانحرافات الطائفية المتعلقة بالدين الإسلامي»[44] (CPDSI) ملف يُدعى «نداء الواجب»، وهو اسم لعبة فيديو تُطلَق فيها النار على كل شيء يتحرك. يتوجه تنظيم «داعش» به إلى الأفراد، ويحرضهم على استرداد الكرامة على اعتبار أن التنظيمات الإرهابية ترى أن شخصياتهم تأثرت كثيرًا بعوامل مختلفة، منها البطالة والإسلاموفوبيا وإدمان الكحول أو التهميش، وجميعها تقود إلى العزلة الاجتماعية، وهي الأسباب نفسها التي وردت في قضية محمد مراح ومهدي نموش[45].

---

(43) دحروج.

(44) أنشئ في نيسان/أبريل 2014، وفقًا لقانون الجمعيات لعام 1901، وجاءت فكرة الإنشاء بعد إجراء عدد كبير من المكالمات من الأسر التي تعرَّفت إلى كيفية تطرف أبنائها من خلال الاطلاع على كتاب دنيا بوزار نزع فتيل الإسلام المتطرف. هذه الانتهاكات الطائفية التي تشوه الإسلام *(Désamorcer L'Islam Radical Ces dér ves sectaires qui défigurent l'islam)*.

(45) أمين.

تمثَّل الخطأ الذي ارتكبه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي، عندما كان يشغل منصب وزير الداخلية، في أنه مضى بسياسة فرنسا نحو إيجاد توازن بين المؤسسات الرسمية المغاربية للإسلام في فرنسا مع إهمال المنظمات الإسلامية الأخرى التي لا تضطلع بإدارة عدد كبير من المساجد، لكنها تتمتع بتأثير في شباب الضواحي الذين كانوا يعانون التهميش من دون أن يكون لتلك المنظمات أصوات داخل المجلس، ما جعله منعزلًا عمّا يجري في الضواحي. ونتيجة لذلك، اندلعت انتفاضة الضواحي في فرنسا في عام 2005، بعد إنشاء المجلس بعامين، في حين لم يتمكن من تأدية أي دور لتسوية الأزمة، نظرًا إلى افتقاده التأثير في القاعدة الاجتماعية العريضة للشباب المسلمين الفرنسيين(46).

هكذا، نجد أن الشعور بالمهانة والذل والهوان عند الإسلامويين المتطرفين، خصوصًا الشباب منهم، يجعلهم يبررون بها توجهاتهم نحو التطرف وإيجاد ذريعة للانتقام من عدو مفترض لديهم بوسائل مختلفة، كالقتل والتدمير، تحت مسميات مختلفة، لعل في مقدّمها قضية «الجهاد».

3- العامل الاقتصادي وتفشي البطالة

سعيًا وراء بيان أسباب انضمام الشباب الأوروبيين عمومًا والفرنسيين خصوصًا، المنحدرين من أصول عربية وإسلامية، أو الشباب من أصول أوروبية تحوّلوا إلى الإسلام، إلى تنظيم داعش في العراق وسورية من أجل القتال، يمكننا القول إن العامل الاقتصادي

(46) دحروج.

يُعد غايةً في الأهمية من بين عوامل أخرى نتحدث عنها هنا؛ فالقارة الأوروبية تمر بأزمة اقتصادية ما دفع اليمين الأوروبي المتطرف إلى استغلالها ليجعلها أحد الجوانب التي يتبنّاها في خطابه المتمحور في شأن كراهية الأجانب، ومعاداة الهجرة والمهاجرين، إضافة إلى جوانب أخرى مثل إشاعة الخوف من الإسلام. استغلت الجماعات الإرهابية المتطرفة نقاط الضعف هذه وعملت على استدراج الشباب من المسلمين وإطلاق الوعود بتعويضهم عن تلك الجوانب، ولا سيما بعد استيلائها على حقول نفط وفرضٍ رسوم على النشاط الاقتصادي في المناطق التي استولت عليها، ومَكّنتها من الدفع لهم بسخاء[47].

تتفوق العوامل الاقتصادية والاجتماعية على الأيديولوجيا والدين؛ إذ تحرك البطالة والفقر والأمية الإحباط والتطرف. لذلك، يرى فريق من المطلعين أن غياب الفرص الاقتصادية والاجتماعية أهم كثيرًا من حرب الأيديولوجيات أو حتى صراع الحضارات، وإن كانت لا تقل الأيديولوجيا والدين والثقافة أهمية في انضمام الشباب المسلمين في أوروبا إلى التنظيمات المتطرفة. فالإسلام الراديكالي والجهادية المتطرفة وتداعيات الحديث عن صراع الحضارات كلها مجتمعة، وغيرها من العوامل الأخرى، ساهمت في دفع الشباب إلى التطرف، في حين يُرجعها فريق آخر إلى الحرمان النسبي، وهو حالة تُولِّد الاستياء عند الفرد نتيجة إدراكه أن ما يحصل عليه من مقومات المعيشة يبقى عند حد الكفاف، وهو أقل كثيرًا مما يستحقه ومما يتوقعه، إضافة إلى مقارنته وضعه

---

(47) إبراهيم عوض، «رأي حول أسباب الشباب في الانضمام إلى «داعش»»، سي أن أن بالعربية، 12/ 10/ 2014، في:
http://arabic.cnn.com/middleeast/2014/10/12/opinion-shorouk-why-teens-join-isis.

بأوضاع أقرانه في المجتمعات الأُخرى، أو حتى في مجتمعه نفسه، حيث لا عدالة اجتماعية ولا توازن في توزيع الفرص. يختلف هذا الحرمان النسبي عن الحرمان المطلق الذي يندرج ضمن إطار غياب مقومات الحياة الأساسية، كالغذاء والمال وغيرهما(48).

هكذا، يتبين لنا أن المشكلات الحقيقية التي يعانيها الشباب المسلمين لا تكتسي عباءة دينية أو عرقية أو لغوية أو هوياتية بقدر ما هي مشكلات اقتصادية واجتماعية وتعليمية تخص التهميش والبطالة والهدر المدرسي. لعل انتفاضة الضواحي التي شهدتها فرنسا في خريف 2005 خير شاهد في هذا السياق(49). وبحسب مركز البحوث السياسية في كلية العلوم السياسية في باريس، يعزو الفرنسيون سبب البطالة إلى ازدياد أعداد المهاجرين إلى فرنسا من الخارج، إذ يرى 70 في المئة منهم أن عدد الأجانب في فرنسا كبير، ويعتقد 46 في المئة أن «خفض عدد العاطلين من العمل يستدعي الحد من عدد المهاجرين أولًا»(50).

4- غياب القضية الكبرى والفكر أو الأيديولوجيا

عند دراسة ظاهرة التطرف الديني بين الشباب المسلمين في المجتمعات الغربية، نجد بينهم من يتحدث عن غياب

(48) Ömer Taşpınar, «You Can't Understand Why People Join ISIS without Understanding Relative Deprivation», *The World Post*, 28/2/2015.

(49) Olivier Roy, «Intifada des banlieues ou émeutes de jeunes declasses?,» France Diplomatique, dans: www.diplomatie.gouv.fr/fr/IMG/pdf/0501-ROY-FR-2.pdf.

(50) «France 2013: Les Nouvelles fractures: Une enquête Ipsos/ CGI Business Consulting pour: Le Monde,» Fondation Jean Jaurès, dans: http://www.jean-jaures.org/content/download/17165/167808/file/Enquete.

آفاق المستقبل وعدم بروز حلول للأزمات المختلفة «السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها»، وبشكل عام، غياب القضية الكبرى والفكر أو الأيديولوجيا، على الرغم من اختلاف طبيعة الأزمات وتفصيلاتها. ويعاني المسلم الذي يعيش في الغرب أيضًا مشكلة غياب آفاق المستقبل، وغياب قضية كبرى يمكن أن يتبنّاها، باستثناء التمثيل السلبي للجماعات الإسلامية المتطرفة التي تعمل على احتضانه صيدًا سهلًا نتيجة هذا الفراغ.

في المقابل، هناك وجهة نظر أخرى ترى أن كراهية بعض الجماعات الإسلاموية لفرنسا تعود إلى أن هذه الأخيرة كانت بلدًا مستعمِرًا لعدد من البلدان العربية الإسلامية، خصوصًا الجزائر التي استعمِرت بين عامي 1870 و1962. مثال ذلك، ما نجده عند أمير الجماعة السلفية للدعوة والقتال (GSPC)، وهو يدعو على شبكة الإنترنت في أيلول/ سبتمبر 2005 قائلًا: «سوف نغرق تأثيرات فرنسا في الجزائر. الطريقة الوحيدة لإعادة فرنسا منضبطة هي الجهاد وشهادة الإسلام». وأضاف بعد اعتقال اثنين من مساعديه: «فرنسا هي عدونا رقم واحد، عدو ديننا ومجتمعنا»[51]. وهذا يُظهر لنا مدى تأثير الحقبة الاستعمارية الفرنسية في الإسلامويين المتطرفين من أجل اتخاذها ذريعة لترسيخ العداء.

في السياق ذاته، يُعبّر الكاتب الفرنسي فيغنو عن الضياع الفكري الذي يواجهه أبناء بلده، عندما يقول: «هؤلاء الأطفال

(51) Antoine Sfeir, *Al-Qaïda menace la France*, collection actu (Paris: Le Cherche midi, 2007), pp. 52-53.

أبناء جمهوريتنا يغادرون إلى هناك، غالبًا، حتى من دون أن يفهموا حقيقة الصراع. يوجد من يحلم بإقامة الشريعة وتأسيس الدولة الإسلامية الكبرى في منطقة الشرق، في الشام، في حين يحاول آخرون العودة إلى أوروبا بخيبة أمل من خلال دورهم في هذه الحرب المقدسة، يخافون الموت، لكن أحيانًا، ما هو مقلق، ينوون ضرب البلدان التي نموا فيها وتربوا»(52).

ثمة مثال آخر يتعلق بالمهاجرين في فرنسا - ولا سيما الشباب من أصل مغاربي وأفريقي - يرتبط بأزمة مزدوجة في فرنسا، تتعلق بالعمل والأيديولوجيات - كذلك ما يخص الأنموذج الجمهوري والروايات التحررية للنزاع الاشتراكي أو الشيوعي، مع أن الأجيال السابقة للمهاجرين كانت قد اندمجت في عالم العمل، ومنه في الأمة(53).

يتحدث أحد الناشطين الفرنسيين من أصل عربي، والمستجوَب من خسروخافار، بنبرة امتعاض وتشاؤم في آن واحد، قائلًا: «لسنا فرنسيين طيبين إلا إذا كنا مسلمين سيئين، فالهوية الفرنسية قائمة على نبذ أصولك وكل ماضيك»(54). فالتراخي الغربي أمام اضطهاد الشعوب العربية شجع المتطرفين الفرنسيين من أصول عربية على الذهاب إلى مناطق النزاع في الشرق الأوسط. ويشير الصحافي وسيم نصر، المتخصص بالجماعات الجهادية، إلى أن «الأغلبية العظمى من الشباب الذين ذهبوا إلى سورية كانت مقتنعة

---

(52) Vignolle et Ahmed-Chaouch, p. 12.

(53) Gresh & Ramadan, pp. 306-307.

(54) Viollet, p. 4.

بأنها ذهبت لحماية النساء والأطفال، لكنها اعتُقلت بعد عودتها إلى فرنسا بتهمة الإرهاب»، وهذا ما يرفضه خبير شؤون الإرهاب بريسارد الذي يقول: «حسم القضاء الفرنسي هذه المسألة؛ إذ نملك معلومات دقيقة عن الذين يذهبون إلى سورية، فأن تقاتل في صفوف الجيش السوري الحر ليس كأن تقاتل في صفوف منظمات مصنّفة إرهابية مثل تنظيم الدولة الإسلامية»[55].

وهكذا، ففقدان الركون إلى أيديولوجيا واضحة وفكرة بناءة عند الإسلامويين - عند الشباب تحديدًا - الذين يعيشون في الغرب، دفعهم إلى البحث عن أبدال جديدة قادتهم إلى التطرف، مهما اكتنفها من غموض وتشويش في الرؤية، فأصبحوا عرضة للتورط في الإرهاب والعنف.

5- التعليم والمناهج الدراسية

إلى جانب العوامل الثلاثة التي تطرقنا إليها أعلاه، هناك من يرى عوامل أخرى، مثل تقصير النظام التعليمي والاجتماعي والثقافي في البلدان الأوروبية في استيعاب الشباب المنحدرين من أصول عربية وإسلامية. وكان من نتيجة ذلك بروز التمايزات العرقية والثقافية والعنصرية، ما أدى بالضرورة إلى الشعور بالعوز والفاقة والغبن والظلم والتهميش. وهذه من أسباب عدة دفعت هؤلاء الشباب إلى الانضمام إلى الجماعات الإرهابية[56]. ففي الوقت الذي يثير فيه بعض المجتمعات الأوروبية مسألة

---

(55) *Le Point*, 10/9/2014.

(56) عوض.

«الإسلاموفوبيا» التي سبق الحديث عنها، ما زال النقاش محتدمًا حول قضايا اندماج بدائية تتعلق بالملبس والعبادة واختيار الأفكار. لم تزل هذه المشكلات قائمة في فرنسا، وهي ليست أقل حدة كما يصورّها بعض الآراء، ولا غائبة كليًا في هذا البلد. ويُعزى ذلك إلى طبيعة مناهج الدارسة فيها، التي لا توفر صورة أحادية مشتركة لجميع المسلمين، وتمكّنهم من التخلص من الخلافات الدينية بينهم لترسيخ الانفتاح الثقافي، في حين يصوّر بعض المناهج في أوروبا عمومًا وفي فرنسا خصوصًا، المسلمين والمسلمات بوصفهم «الآخر ماقبل الحداثي» غير القادر على الاندماج في المجتمع الأوروبي، ما يرسخ مفهوم «العنصرية الثقافية».

في الوقت نفسه، يزعم القائمون على المناهج الدراسية في فرنسا أن المدرسة هي المصدر الأساس لنقل المعرفة في المجتمع، ولا سيما في ظل ما تتمتع به الكتب المدرسية من صدقية عالية، حيث تحملت السلطات الفرنسية مشقة نقل صورة موضوعية أكثر دقةً عن الإسلام والمسلمين، قلما تجدها في باقي المناهج الدراسية الأوروبية التي أوصت دراسة أوروبية صادرة أخيرًا بإدخال بعض التعديلات عليها بما يخص تناول الإسلام، من أجل أن تكون هذه المناهج قادرة كالمناهج الفرنسية على استيفاء المعايير الحديثة للتعليم متعدد الثقافات[57].

(57) أحمد صلال، «كيف تقاوم فرنسا «الظاهرة الجهادية» بين مسلميها؟»، أورينت نت، 15/ 9/ 2014، في:

https://goo.gl/YgpNB4.

أرى أن الحال مخالف للصورة التي تصوّر بها، فالمناهج الدراسية الفرنسية تقدِّم بعض الكتب بشكل سلبي: على سبيل المثال، تذكر مادة التاريخ القديم المجابهة التي قامت بين المسلمين وإمبراطورية شارلمان - الذي يُعتبر الأب الروحي لأوروبا - بشكل عدائي[58]، وهي مدعاة لإيقاظ شجون التاريخ البعيد، وبث الأحقاد والضغائن بين الطلاب، وإثارة الشكوك حول الإسلام والمسلمين.

نظرًا إلى ما سبق ذكره، ما زالت المناهج الدراسية الفرنسية تُصوِّر العرب والمسلمين وكأنهم يثيرون الشك والشبهات. تقول مارلين نصر إن أحد الكتب المدرسية التي تُدَرَّس في فرنسا يشير إلى «أن الإسلام كان يُعلِن بصفة عامة تسامحًا كبيرًا في مسائل العقيدة، وإن استخدام الفعل (afficher) أي «يُعلِن»، يُعَبِّر مبدئيًا عن الشك لدى المؤلف، ويزول الشك في كتاب آخر للناشر نفسه حيث يُبرِز ويُعَمِم أن الممارسة العملية للإسلام تقوم على التعصب»[59].

يؤكد المفكر الفرنسي من أصل عربي محمد أركون هذه التوجهات بالقول: «صارت معركة بواتييه التي أوقف خلالها قائد الفرنجة شارل مارتيل الفاتحين المسلمين في عام 732 - والتي لا نملك أي وثيقة عنها - رواية تأسيسية في المسيحية، ويُستعان بها في الجمهورية الفرنسية الثالثة وما بعدها»، وهي التي أُدرجت

(58) مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب الفرنسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 279.

(59) المرجع نفسه، ص 136.

في الكتب المنهجية المدرسية الفرنسية. يضيف أركون: «تأثر خيال التلامذة الفرنسيين كثيرًا بجملة «شارل مارتيل أوقف العرب في بواتييه» الواردة في كتاب التاريخ»[60].

لعل الأمر الأخطر هو تزامن معاناة التلاميذ والطلاب المسلمين جراء الجوانب السلبية في التعليم وما تتضمنه المناهج الدراسية، والتمييز بينهم وبين أقرانهم من الديانات الأخرى والذي ينتشر في أنحاء فرنسا كلها، حيث يستقر المسلمون: رصد الباحث سعيد بو عمامة من مدينة ليل الفرنسية حجم التفرقة التي يعانيها طلاب المدارس من أصول عربية في الثانوية، إذ يُوجّهون في العادة بعيدًا عن الدراسات العليا في الجامعات نحو سوق العمل التي تتعامل معهم كقوى عضلية فحسب، لا كأشخاص فاعلين. وفي دراسة حديثة نشرها أخيرًا، وقف بو عمامة على نماذج تدفع إلى الذهول في تصويرها حجم التفرقة التي تطاول النشء المسلم في فرنسا في الحياتين التعليمية والمهنية، في حين يبقى السؤال معلقًا: كم من أبناء المسلمين مؤهلون حقًا للالتحاق بالدراسات الجامعية مقارنة بأولئك الذين يتسربون من المدارس أو يلتحقون بالتعليم المهني؟ وما يزيد من اتساع الفجوة أن أبناء المهاجرين يعانون أكثر من غيرهم ضعف الإمكانات الاقتصادية وأزمة البطالة[61].

لذا، أصدر المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية مؤخرًا وثيقة

---

(60) Mohammed Arkoun, *Histoire de l'islam et des musulmans en France du moyen age à nos jours*, collection essais documents (Paris: Albin Michel, 2006), p. 33.

(61) «الموسوعة المسيحية: عدد المسلمين في العالم ارتفع 7 في المئة خلال القرن الماضي».

رسمية سُميت «ميثاق المواطنة لمسلمي فرنسا من أجل العيش المشترك»[62]، هدفها الحدّ من تداعيات الخلاف وعدم فهم الآخر عددًا من القضايا المتعلقة بالإسلام وبممارسة مسلمي فرنسا شعائرهم الدينية، والتخفيف من وطأة عوامل التمييز والتهميش وسوء المعاملة التي يعانيها المسلمون في فرنسا. تأتي هذه الوثيقة بعد عشر سنوات من تأسيس المجلس، وتُعتبر حدثًا مفصليًا في تاريخ الممارسة الدينية الإسلامية في فرنسا بإشارتها إلى مستوى النضج في تدبير الإسلام في فرنسا، وتحديدها الموقف الصريح الذي يقفه المجلس الذي يمثّل مسلمي فرنسا من قضايا شائكة كثيرة أثيرت خلال السنوات والعقود الأخيرة، وفي مقدمها العلمانية والحجاب والإرهاب والحق في التصويت والاندماج والمساواة والتغذية الحلال والاستنساخ والإسلاموفوبيا وغيرها. إلا أن هذا الإعلان لم يأخذ حقه من النقاش والتداول في المنابر الإعلامية، أو حتى في أوساط المسلمين أنفسهم[63].

ثانيًا: الإسلامويون المتطرفون في فرنسا (الأجيال والبيئة والسلوك)

1- أجيالهم

يُصنِّف جيل كيبل الإسلامويين من الجهاديين الفرنسيين في ثلاثة أجيال: الأول، جيل العمال الذين أتوا إلى فرنسا

(62) «CFCM, Convention citoyenne pour le vivre ensemble,» Depannage service (juin 2014), dans: http://www.lecfcm.fr/?page_id=3704.

(63) نويوار.

لإعمار ما دمرته الحرب العالمية الثانية فيها. عُرف هذا الإسلام بالإسلام الشعبي، أي إسلام البلد الأصلي. بعبارة أخرى، في العبادة التقليدية الممزوجة بالثقافة والبساطة، بالنسبة إلى هذا الجيل، توارى الدين خلف ثقافة بلده الأصلي، وكان أبناؤه لا يمانعون تسجيل أطفالهم في مطاعم المدارس واختلاطهم بالفرنسيين، في حين تأثر الجيل الثاني - وأغلبيته من الطلاب - بالإخوان المسلمين، فكان «جيل الإسلام السياسي» الذي ركّز على بناء هوية إسلامية بحتة من خلال تركيزه على مسائل اعتمار الحجاب في المدارس والاهتمام بقضية الطعام الحلال. وعَمِلت هذه الحركة جاهدة على الاستقلال بفكرها من دون التأثر بإسلام الجيل الأول. كان الإسلامويون المتطرفون الفرنسيون من الجيل الثاني أفرادًا أسلموا من جديد في الغرب، فهم مسلمون ولدوا من جديد وينتمون غالبًا إلى الجيل الثاني من الهجرة المغاربية، وقطعوا في أغلب الأحيان علاقاتهم ببلاد آبائهم[64].

رفض هذا الجيل ثقافة الآباء وخرج بالدين فحسب، وهذه مسألة مهمة لم تنتبه إليها الدولة الفرنسية. ولعل من الظواهر التي يمكن ملاحظتها في ما يخص ابتعاد الجيل الثاني عن ثقافة آبائه تراجع لغة البلد الأم أو اختفاءها، وقوة لغة البلد الذي يعيشون فيه. وغالبًا ما يكون إسلام الجيل الثاني سلفيًا يتعارض مع الثقافات القومية كلها، إذ يدافع الإسلام السلفي عن إسلام بعيد عن كل تأثير ثقافي وعن كل خصوصية محلية (مكانية)، أي

---

(64) Viollet, p. 43.

بمعنى أنه إسلام عابر الحدود من دون أن يحمل ثقافة بلد معين. أمّا المرحلة الثالثة، فبدأت مع الجيل **الثالث**، جيل أبناء المهاجرين الذين ولدوا ونشأوا في فرنسا. نظّم هذا الجيل نفسه على شكل جمعيات مناصرة للإسلام، وله وجود على الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي. وظهرت في هذه الأثناء حركة التبليغ والسلفية المتطرفة[65].

يصنف كيبيل الجهاديين في ثلاث فئات: **الأولى** تمثّل الموجة الجديدة من الجهاديين، وُلِدَت من رحم موجتين سابقتين، أولاهما في ثمانينيات القرن الماضي في أفغانستان، لتنتقل بفروعها المختلفة إلى الجزائر ومصر والبوسنة والشيشان بهدف واحد هو ضرب الأنظمة الموالية للغرب، لكنها فشلت فشلًا ذريعًا لعدم تمكنها من حشد جماهير غفيرة من المسلمين وتعبئتها تحت لوائها. ثم ظهرت فئة الموجة الثانية من الجهاديين بزعامة «القاعدة»، متخذة من الولايات المتحدة هدفًا رئيسًا، على افتراض أن الهجوم على الشيطان الأكبر سيعبئ المسلمين، وهذا ما جرى بالفعل في هجمات 11 أيلول/ سبتمبر2001[66]. أمّا **الفئة الثالثة** فظهرت بعد هجمات باريس في كانون الثاني/ يناير 2015، وكوبنهاغن في منتصف شباط/ فبراير من العام نفسه، واستهدف أوروبا هذه المرة التي يعتبرها هؤلاء - بحسب كيبيل - خاصرة الغرب الرخوة، وهم يعتمدون لبلوغ هذا الهدف على

(65) حميد ياسين ناصر، «الإسلام في أوروبا أم إسلام أوروبا؟: دراسة سوسيولوجية عن أوروبيّ داعش»، المدى، 22/ 2/ 2014.

(66) جيل كيبل، «الجيل الثالث من الجهاديين»، النهار (بيروت)، 10/ 3/ 2015.

استقطاب شباب مهمشين منحدرين من أصول عربية وأفريقية لكنهم مولودوون وناشئون في أوروبا[67]. يقول كيبيل: «تقدّم الهجمات التي وقعت في فرنسا بين السابع والتاسع من كانون الثاني/ يناير 2015، ثم في كوبنهاغن في الرابع عشر من شباط/ فبراير من العام نفسه، أنموذجًا لطريقة عمل الجيل الثالث من الجهاديين؛ إنه يستهدف أوروبا بشكل أساس، إذ يعتبرها نقطة الضعف في الغرب، من خلال تجنيد القتلة من المتروكين أو من الجانحين الذين ينتمون بشكل أساس إلى الشباب المسلم المهاجر، ويتشرّبون العقيدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ويصبحون متشدّدين في السجون، ويتدرب بعضهم عسكريًا في صفوف تنظيم داعش في العراق وسورية اللذين يقعان على مسافة ساعات فقط من العالم القديم»[68].

أمّا رومان كاييه، فيقسم أجيال الجهاديين المتطرفين إلى نوعين: النوع الأول هو نوع الجهاديين المتشددين («النمط الكلاسيكي») الذين شاركوا فعلًا في الحرب التي يعتقدون أنها مقدسة في بقاع عدة من العالم، مثل البلقان والشيشان وأفغانستان، في أواخر القرن العشرين، تضعهم الاستخبارات الفرنسية تحت المراقبة. لم ينفذ هؤلاء الإسلامويون عمليات إرهابية في فرنسا، لكنهم استغلوا عسكرة الصراع في العراق وسورية لمواصلة «قتالهم في أرض الإسلام». يتمثّل تحركهم في الكفاح المسلح

(67) جيل كيبل، «الجيل الثالث من الجهاديين»، مقابلة على قناة فرانس 24، 13/ 2/ 2015، في:

http://www.france24.com/ar/.

(68) المرجع نفسه.

ضد الغرب، وهم لا يسيطرون على أماكن العبادة في فرنسا، ويجتمعون في أماكن مختلفة مثل المساجد والمطاعم، ويتواصلون عبر الإنترنت أيضًا. غير أن هؤلاء لا يمثلون الأغلبية؛ ومع نشوب الصراع المسلح في العراق وسورية، ظهر النوع الثاني الذي يُطلَق عليه اسم «الذئاب المنعزلة»(69)، وأكثر أفراده شهرة مهدي نموش. ويرى رومان كاييه أن الأغلبية من هذا النوع من الجهاديين الفرنسيين هي من شباب بلا خبرة، تبنوا الفكر المتطرف منذ فترة قصيرة، ويصعب على الاستخبارات تحديده بسهولة، ولُقّن بعضهم الفكر المتطرف والمتعصب في أثناء تنفيذه حكمًا بالسجن بسبب قيامه بأعمال جانحة؛ إذ يتبين وسيم نصر آنف الذكر أن حال هؤلاء السجناء النفسية تسهل على من كانوا معهم في السجون أو على سجّانيهم التأثير فيهم.

وفقًا لخبير شؤون الإرهاب الدولي شارل بريسارد، لا يعرف معظم هؤلاء الجهاديين الشباب شيئًا عن الدين، إنما يتخذونه ذريعة لتنفيذ أعمالهم الإرهابية(70).

2- شخصياتهم وفئاتهم

تقودنا دراسة عينات ونماذج من هذه الشخصيات إلى فهم العقلية الجهادية الفرنسية؛ إذ إن أغلبيتها نشأت في الضواحي

(69) استراتيجيا اتّبعها تنظيم القاعدة، منذ عام 2009 تقريبًا، تعتمد على العمل الفردي الذي بات يصطلح عليه بـ «الذئاب المنعزلة»، أي يتخلى التنظيم عن استراتيجيا الخلايا الجماعية في تنفيذ العمليات الإرهابية ويقتصر على أشخاص فرادى يقومون بالتنفيذ وفقًا لأوامر وتوجيهات يتلقونها.

(70) *Le Point*, 10/9/2014.

الباريسية وضواحي باقي المدن الفرنسية الأخرى، فيما جاء عدد منها من الريف؛ عاش بعضها في جو عائلي معقد وماضٍ نفسي مؤلم، أو ماضٍ يتعلق بقضايا جنائية وجرائم منظمة، وبعضها الآخر غير معروف تمامًا من الشرطة. لا يصل مستوى التحصيل الدراسي لقسم كبير منها إلى البكالوريا، لكن معظم أفراد هذا القسم ناشط غير خامل. ويرتبط كثير منهم بعوائل تحرص على حياتهم وسلامتهم[71].

يُصنِّف فابريس بلانش[72] هؤلاء الجهاديين وفقًا لشخصياتهم في ثلاث فئات: الأولى، فئة «مهمَّشي» الضواحي الذين يواجهون فشلًا تعليميًا ومهنيًا، ويتوجهون إلى الجهاد باحثين عن مغامرة ما، وعن وسيلة لإعطاء حياتهم معنى واستعادة كرامتهم المفقودة بطرائق مصحوبة بالعنف الشديد؛ ويتخذ المهمش شخصية «المُدمِر» (Terminator) الذي يشعر بأنه سيد العالم، ويتميز سلوكه بعنف فائض ما أن يصل إلى مناطق القتال؛ ضمن الفئة الثانية يندرج «المراهقون» الذين يسهل التأثير فيهم وتلقينهم الأفكار المتطرفة على الإنترنت، وإقناعهم أنهم يتولون مهمة إنقاذية سامية كما «الأم تيريزا»، وعليهم إنقاذ العالم بدءًا بسورية. أمّا الفئة الثالثة فتضم الطبقة الوسطى التي نجحت في حياتها، لكنها ترى نفسها محبطة وغير قادرة على التغيير، أكان

(71) Thomson, pp. 12-13.

(72) متخصص بالشؤون السورية وأستاذ محاضر في جامعة ليون الثانية الفرنسية، ومدير مجموعة البحوث والدراسات الشرق الأوسطية في مركز Maison de l'Orient.

بالنسبة إلى قضايا العدالة في أوطانها أم بشكل مطلق في العالم. وتعبِّر هذه الفئة عن فشل الاندماج في المجتمع الفرنسي.

بشكل عام، تشير المعلومات إلى أن الفئات العمرية للجهاديين الأوروبيين المتجهين إلى العراق وسورية تنقسم فئتين: أولى بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة، وثانية بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين[73].

يُعَد الجهاديون الفرنسيون «الجنود الصغار» الذين تسميهم الصحافة «الأقدام المطلية بالنيكل» أو «الجهاديين المتدربين» في سبيل الله. وهم في بعض الأحيان ليسوا إلا مجموعة مراهقين تعلمت أغلبيتهم «الإسلام والجهاد المتطرف» من خلال الإنترنت، من دون علم الوالدين، وبعيدًا عن مساجد فرنسا[74].

من جهة تعليمهم وتثقيفهم، ليست أغلبية الناشطين من الجهلة؛ إذ تابعت الدراسة إلى ما بعد الثانوية، وهي تتكلم لغات عدة على الرغم من كونها فريسة صعوبات التلاؤم والاندماج مع الغرب بسبب نقص في التعليم أو الخلفية الثقافية، في وقت تزداد فيه كراهية الناشط للغرب بقدر ما يكون هذا الغرب موضوعًا مرغوبًا فيه لكن ممتنعًا عليه. وهذه حالة أحد الناشطين المدعو مهدي على سبيل المثال، إذ أراد المجيء إلى فرنسا من

---

(73) كمال حبيب، «حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب»، السياسية الدولية، العدد 199 (كانون الثاني/ يناير 2015)، ص 101.

(74) Thomson, p. 33.

أجل الانفتاح الفكري والحضاري، ونيل الحرية، في حين وجد أن الأمر ما هو إلا وهم وسراب. غالبًا ما يستبطن الفرد عندئذ الاحتقار الذي ينفثه الغرب ويمقت نفسه على طريقة علم النفس «كراهية الذات تصلح الأنا وتوحّدها»؛ فالإسلام بالنسبة إليه يعيد كرامة الأنا ووحدتها، فيظهر الإسلام ترياقًا يسمح بالتحرر من الرغبة في التغريب، وما إن تنفد الرغبة حتى تتغلب التصورات والأساطير المتطرفة على الذات[75].

المسألة المهمة التي ينبغي الوقوف عندها اليوم هي معرفة إن كان ثمة نقاط مشتركة ومميزة بين هؤلاء الناشطين، إلا أن سماتهم الشخصية، سواء أكانوا من الإرهابيين أم من الميالين إلى الإرهاب، تجعل من الصعب الكشف عنهم، ولا سيما إذا كانوا يعملون منفردين، والأصعب أيضًا هو إعادة تأهيلهم عندما يُلقى القبض عليهم ويودعون في السجون[76].

يندد عدد من الناشطين الذين استجوبهم خسروغافار بالمقاربة الإدماجية الفرنسية وبالعلمانية التي ما هي - بحسب قولهم - إلا دين جديد هو «دين الدولة». يستدعي الناشط حسن من جهته الأنموذج الإنكليزي الأكثر تسامحًا حتى لو لم يكن، كما يقول، خاليًا من النفاق. وهو ما يؤكده شاب سلفي آخر كاد أن يتحول إلى الإرهاب: «يبينون لنا بكل هدوء، لا يقولون لنا مباشرةً (ينبغي عليكم القتال)، بل يقولون (ستذهبون إلى الجنة)، (سترون هذا وذاك أمامكم)، يحدث ذلك بهدوء. بهدوء... شيئًا فشيئًا». مع ذلك،

(75) Viollet, p. 73.

(76) Ibid, p. 12.

فإن الروح الاجتماعية السلفية تحافظ على علاقة معقدة بالروح الاجتماعية الفرنسية، على الرغم من التقاطعات الفكرية، فأغلبية السلفيين تفضل الاستثمار ماديًا وروحيًا في ما يسمونه «أراضي الكفر» على ترك هذه الأراضي. مع ذلك، يرى الناشطون الفرنسيون ذوو الأصول المغاربية أن المسلمين يردون على الإذلال بالانتقام شرعًا من الغرب الذي ينكر عليهم كرامتهم ويسلبهم أراضيهم، أو يسعى إلى إعاقة تقدم الإسلام[77].

هكذا، يبدو لنا ممّا تقدم أن الشعور بالتهميش والنقص وإذلال الآخر يغلب على شخصيات الإسلامويين المتطرفين، فتحاول في مقابل ذلك الثأر والانتقام، وتعويض هذه الجوانب بالتطرف والتوجه إلى استخدام العنف داخل فرنسا أو القتال ضمن صفوف التنظيمات الإرهابية المتطرفة خارجها، ولا سيما في منطقة الشرق الاوسط.

3- بيئتهم وسلوكهم

للناشطين المتطرفين من الشباب سلوكهم وأفكارهم التي تعكس شخصياتهم المختلفة لكن المشابهة لشخصيات آبائهم، بل أجدادهم أحيانًا. كتبت صحيفة ليبراسيون الباريسية أن معظم الإسلامويين الشباب ينتقد ديانة آبائه وسلوكهم، قائلين إنهم «لا يريدون أن يرضخوا كآبائهم»، وهذا ما يفصح عنه حسن، أحد الناشطين الإسلامويين، بالقول: «آباؤنا لم يحسنوا التصرف جيدًا،

(77) Ibid, pp. 83 et 108.

خضعوا للظلم، وعانوا إذلال دينهم وهويتهم، ورضوا بذلك، فتم استغلالهم»[78].

في مقابلة أجراها خسروخافار مع السجين أحمد، تحدث هذا الإسلاموي الجهادي الفرنسي من أصل جزائري عن توفير الحرية التامة له ولأقرانه في أداء الصلاة في السجن، وهذا يشير إلى أن من كان يؤم الصلاة إسلاموي فرنسي! يسأله خسروخافار: «يبدو أنك قلق من ارتكابك الخطيئة؟»، يجيب أحمد مبررًا ماضيه الذي لم يخلُ من الخطايا: «الخطيئة في الدين شيء طبيعي. لا يستطيع المرء أن يُخفي ذلك، إنها بين المذنب والله. ينبغي تجنب الخطيئة مع أن ذلك صعب، خصوصًا في أوروبا حيث نحن محاطون كل الوقت بالممنوعات كالجنس والكحول والمخدرات وغيرها، فينسى المرء التزاماته الدينية»[79].

أما السلفيون في الضواحي الفرنسية فلهم سلوكهم الخاص المثير للانتباه. على سبيل المثال، نلحظ في مدينة ليون شبانًا ذوي لحى شعثاء، يرتدون سراويل فوق الكاحلين، يتناولون الطعام جالسين على الأرض وفي بالهم أنهم يقلدون صحابة النبي. يفعلون ذلك من دون أن يعرفوا السبب أو الغاية، فثقافاتهم متنوعة ويتكلمون أكثر من لغة، مثل حسن الذي يتكلم الفرنسية والعربية والإنكليزية والإسبانية والألمانية. أقام كثير منهم في بلدان عدة، مثل مهدي الذي عاش في أفريقيا الشمالية وكندا وإيطاليا قبل أن

---

(78) «Séduction salafiste en France,» *Libration* (9 décembre 2004).

(79) Khosrokhavar, p. 27.

يصل إلى فرنسا[80]. ويوضح إمام سلفي في مرسيليا أن هؤلاء في الأغلب «قتلة أصحاب سوابق ومجرمون ومدمنو مخدرات... يجدون أنفسهم في مأزق»، ودوره أن يطمئنهم، ولا التباس عنده في هذا الخصوص. يضيف الشيخ: «يُظهر هؤلاء تدينهم لكنهم بعيدون عن حقيقة الدين».

على غرار بعض الفرنسيين ذوي الأصول المغاربية أمثال إحسان ومهدي ومجيد، وبعض النساء المرشحات للجهاد مثل كولين لاروز وموربيل دوغوك، نجد الباحث خسروخافار يفصح أن الناشط المستجوَب حسين - فرانسوا كان يتعاطى المخدرات، وماضيه الإجرامي حافل (عنف وسرقة واعتداء وسطو ...إلخ). وعلى نمط النساء الغربيات، نجد عنده شيئًا من عدم الاستقرار العاطفي، إذ عانى طلاق أبويه، وعرف كثيرًا من زوجات الأب، وغيَّر مسكنه مرات عدة، وليس له أصدقاء ثابتون، ويتقلب عاطفيًا بين الفتيات[81].

جعلت السوابق الجرمية التي تسِم أغلبية الجهاديين المتطرفين الفرنسيين فرنسا تعيش أوضاعًا مشابهة لما قام به محمد مراح الذي ارتكب سلسلة جرائم قتل قبل ثلاثة أعوام، بينها قتل سبعة أشخاص في تولوز جنوب غرب فرنسا قبل مصرعه برصاص الشرطة في عام 2012، ومهدي نموش الذي قاتل في سورية قبل أن يعود إلى أوروبا ويرتكب مذبحة في بروكسل قبل سنوات عدة[82].

---

(80) Viollet, pp. 40-43.

(81) Ibid, pp. 65-69.

(82) «جهاديو الغرب: ظاهرة مستوردة أم محلية؟»، إذاعة مونت كارلو الدولية، 23/ 10/ 2014، في:
http://www.mc-doualiya.com/chronicles/decryptage-mcd.

هذا هو سلوك أغلبية الإسلامويين المتطرفين الذين انضموا إلى جماعات إرهابية متطرفة في مناطق مختلفة من العالم، وتحديدًا في منطقة الشرق الأوسط، وهو ردّة فعل سلبية على معاناتهم وبؤسهم وسوابق بعضهم الجرمية، يحاولون التعويض عنها بتصرفات تقودهم إلى التطرف، فينزلقون إلى درك الإرهاب والعنف والجريمة.

4- خطاباتهم وأيديولوجيتهم

وفقًا لما عُرض من إخفاقات وتحديات تواجه الإسلامويين المتطرفين، يتركز خطابهم على الموضوعات والجوانب الآتية:

- الصدام (كالتوجهات العنصرية التي يُشكِل المسلمون ضحاياها).

- ضرورة التغيير (إنه البديل المتطرف، فينبغي على العالم أن يتغير).

- الحث على الفعل الوحيد الممكن (الغرب الفاسق والمتغطرس يفسد المسلمين ويحطم النظام الذي أقامه الله فيضحي الجهاد فرض عين على كل مؤهل لذلك).

- إخراج مشهد (الأدوار وُزعت والسيناريو كُتب سلفًا من منظور أخروي).

- الرغبة في الاستمرار (التسامي على الموت).

- النخبوية (المسلمون الحقيقيون) وموضوع العصر الذهبي (السلف الصالح).

- ادعاء الخصوصية (الحقيقيون الأوائل).

يقول أحد الناشطين الفرنسيين من أصول عربية: «إنهم أعداء الإسلام، يحاولون هدم الإسلام... أين هي المساواة؟ يريدون رفع الحجاب والنقاب عن فتياتنا... إنهم دائمًا وراءنا ليبعدونا عن الدين»[83].

تعكس توجهات عدة شخصيات الناشطين وتدفعهم إلى التطرف؛ فالمبالغة في تصور الأشياء تقود إلى إيلاء حادثة ما أكثر ممّا تستحقه من الأهمية أو أقل ممّا تستحقه؛ فبالنسبة إلى الناشط حسن، كانت الحادثة التي أُهينت فيها أخته هي الشرارة التي أفضت إلى تطرفه. وهكذا، يقوم الاستنتاج المتسرع من خلال واقعة ما إلى نتائج خطِرة وخاطئة. يُعَبِر حسن عن ذلك بالقول: «يريدون أن نكون منحطين، وأن يجعلوا منا كائنات دون بني الإنسان أو بتنبؤات متشائمة واعتبارها صحيحة»، في حين يرى ناشط آخر يدعى موسى: «البعد عن الدين، والمثلية الجنسية، وهشاشة الزواج والأسرة، وانعدام الحياة الملائمة للنساء، هي علامات على فساد الغرب العقلي». تبعًا لذلك، يعتقد الإسلامويون أن الغرب غير قابل للإصلاح، ولم يبق أمامهم إلا خيار القتال والشروع في الحرب.

لكن في المقابل، نجد فريد عبد الكريم، الكاتب الفرنسي المسلم عربي الأصل، يطالب بإصلاح واقع الإسلام الحالي من خلال إعادة تنظيم الإسلام واحتوائه وإعادة تكييفه وتحديثه،

---

(83) Viollet, pp. 67-81.

إذ يرى أن الإسلام سيكون غريبًا جدًا في المستقبل القريب، إذ يدين به ويمارس طقوسه أناس من بقايا الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية القديمة، ويمكن اعتباره دين العرب المستقلين، ودين من نفّذوا هجمات كانون الثاني/ يناير 2015. فالإسلام مُتهم اليوم بأنه المسؤول عن العنف، وهذه نظرة تؤخذ في الحسبان في ظل الواقع العالمي اليوم[84].

نجد توجُّهًا آخر عند بعض الناشطين الإسلامويين، خصوصًا السلفيين بينهم، إذ يرون في أنفسهم «جماعة المسلمين الطاهرين والملتزمين، أمّا الآخرون فمنشقون وضالون وخاطئون». أحدهم، حسان، يؤكد ذلك قائلًا: «أريد وقف الكارثة، إن هذا العالم من عاليه إلى أسفله فاسد»[85].

خلافًا للادعاءات التي يسوقها الإسلاميون الفرنسيون المتطرفون، نجد قطاعًا واسعًا من أبناء الجيل الثالث من المهاجرين لا يلتزم ممارسة الشعائر الدينية بشكل كامل، وهو أمر متسق مع قطاعات كبيرة من المجتمع الفرنسي على اختلاف دياناتها، إذ يلاحَظ ارتباط هذه الفئة من مسلمي فرنسا بالإسلام ثقافيًا على سبيل التعبير عن الهوية، كالحرص على الاحتفال بالأعياد والتردد الموسمي على المساجد، وما إلى ذلك من مظاهر التمسك الثقافي بالإسلام. يطلق بعض الباحثين الفرنسيين على هؤلاء اسم «المسلمين العلمانيين». وتجدر الإشارة، في سياق

---

(84) Farid Abdelkarim, *L'islam sera Français ou ne sera pas*, collection mise au point (Paris: Les Point sur les i, 2015), pp. 10-11.

(85) Ibid, pp. 83-84.

هذا التدليل، إلى انتفاضة الضواحي الفرنسية التي هبت في عام 2005، وما كان وراءها بواعث دينية أو أصولية إنما كانت في جوهرها احتجاجًا على التمييز الاجتماعي الذي تمارسه الدولة الفرنسية ضد المسلمين[86]. وهناك استبيان يشير إلى أن 45 في المئة من المسلمين المتدينين الذين يمارسون الشعائر الدينية في المجتمع الفرنسي لم يواصلوا تعليمهم، أمّا الحاصلون على دبلوم التعليم العالي فتبلغ نسبتهم 39 في المئة[87].

في الاتجاه ذاته، لاحظت الباحثة الفرنسية دنيا بوزار من خلال دراسة عينة لـ 120 أسرة فرنسية يرغب أبناؤها في الذهاب إلى سورية «أن أغلبية الشباب المجندين ليست من المتدينين»[88]. ومن توجهاتهم الخاطئة ما يمكن تسميته «الواجبات المزيفة»، إذ يحدد الناشط لنفسه أهدافًا ينبغي بلوغها وهو مقتنع بأنه الوحيد الذي يتصرف تصرفًا سليمًا؛ إذ يعتبر حسين - فرانسوا نفسه الوحيد الذي يقاوم، والوحيد الذي يتمرد، ويرفع راية المقاومة.

---

(86) دحروج.

(87) Xavier Ternisien, «Plus Pratiquants: Les musulmans de France sont aussi mieux intégrés,» *Le Monde*, 5/10/2001.

(88) أحصى «مركز الوقاية من الانحرافات الطائفية المتعلقة بالدين الإسلامي» (CPDSI) 400 عائلة فرنسية التحق أبناؤها أو بناتها بالجهاد في سورية والعراق: 40 في المئة من العائلات ملحدة، و40 في المئة كاثوليكية، و19 في المئة مسلمة وواحد في المئة يهودية. ومن حيث السن، فإن 30 في المئة من الشباب قاصرون، وتراوح سن 39 في المئة منهم بين 18 و21 سنة، وتراوح سن 31 في المئة بين 21 و28 سنة. لم تتصل حتى الآن بالمركز أي عائلة يزيد سن ابنها أو ابنتها على 30 سنة. ومن حيث الجنس، فإن نسبة الفتيات تساوي نسبة الفتيان. وأمّا من حيث الوضع الاجتماعي، فينتمي 59 في المئة من العائلات إلى الطبقة المتوسطة، و30 في المئة منها إلى الطبقات الشعبية، و11 في المئة منها إلى الطبقات العُليا. انظر: أمين.

كذلك، هناك جانب آخر يتعلق بـ «التصنيف» الذي يقوم على إطلاق أحكام نهائية عاطفية على الآخرين أو على الناشط نفسه، حتى أن حسين - فرانسوا يتهم مثلًا زوجته بأنها مسلمة مزيفة[89].

فكرة «أرض الجهاد» هي إحدى الأفكار والمعتقدات التي يؤمن بها الإسلامويون الفرنسيون المتطرفون، كما هو حال باقي الإسلامويين. وإذا رجعنا إلى التاريخ المعاصر، فسنجد أن هناك أراضي عدة للجهاد كانت قد جذبت إليها الجهاديين الفرنسيين، مثل أفغانستان وباكستان وأوزبكستان والبوسنة وطاجكستان والعراق واليمن... وغيرها، في حين تعتبر أغلبية الناشطين الإسلامويين، وفي مقدمهم أنصار القاعدة، سورية المسرح الحالي لنبوءة «نهاية العالم»، أو ما يسمونه «يوم قيامة العالم». يقول الناشط الفرنسي من أصل عربي المدعو ياسين: «... في القرآن، حدثّنا النبي، حدثّنا وحدثّنا، أن الشام هي الأرض المباركة، إذ روى لنا أن الحرب ستكون هناك. وهي إحدى أبرز علامات عودة الخلافة. ستكون الشام الشرارة التي ستوقد ضياء الخلافة». أضاف: «في الحقيقة ذُكرت سورية في كثير من الأحاديث، إذ قال النبي: «سيأتي زمان تقاتل فيه مجاميع في العراق، واليمن، والشام». فقال الصحابة للنبي: «إذا ما بقينا نعيش إلى تلك الفترة، أين تنصحنا بأن نذهب؟»، فقال لهم الرسول ولثلاث مرات: «اذهبوا إلى الشام، اذهبوا إلى الشام، اذهبوا إلى الشام، لأنها أرض مباركة. جميع الأنبياء ذهبوا إلى الشام! جميعهم بلا استثناء! إنها أرض مباركة مغطاة بأجنحة ملائكة الله»[90].

(89) Abdelkarim, pp. 83-84.

(90) Thomson, pp. 32-33.

يقول الصحافي وسيم نصر: «... بالنسبة إلى المرشحين للجهاد، أصبحت سورية أكثر جاذبية على المستوى الأيديولوجي». ويضيف: «وفقًا لحديث النبي محمد، ففي سهل دابق - الذي يقع شمال حلب تحت سيطرة الدولة الإسلامية - ستقع المعركة النهائية بين الجيوش الرومانية - الغرب في عيون الجهاديين المتطرفين - والمسلمين، وهكذا، ومن خلال المشاركة في بناء دولتهم الإسلامية الجديدة المزعومة، يشعر هؤلاء أنهم يحققون نبوءة يعتقدونها في عقولهم ومخيلتهم»[91].

لجأ بعض المتطرفين الفرنسيين إلى أعمال إجرامية من أجل تمويل مهماتهم الجهادية؛ فقبل عام، هاجم خمسة إسلاميين في باريس مطعمًا للوجبات السريعة في باريس المعروفة بـ «كويك» (Quick)، وسرقوا منه 2500 يورو لتمويل رحلتهم إلى تركيا، وبعدها إلى سورية. لكن، يتجنَّب الجهاديون استخدام لبنان نقطة دخول إلى سورية بسبب التعاون بين أجهزة الاستخبارات اللبنانية وأجهزة الاستخبارات الفرنسية[92].

ينسب الجهادي الفرنسي نعيم إلى النبي محمد القول: «يجب التنصل والتبرؤ من الذين يعيشون في بلاد المشركين، لهؤلاء حق العيش في بلاد الكفار لكنهم لم يقوموا بالهجرة منها»، مخاطبًا إياهم: «أنا قلق على مصيركم، إذ يجب أن تبذلوا

(91) *Le Point*, 10/9/2014.

(92) منى علمي، «أدوارهم ثانوية وأغلبهم لا يملكون معرفة دينية معمقة أو اعتنقوا الإسلام أخيرًا: جهاديو فرنسا.. مهمشون ومراهقون وطبقة وسطى محبطة»، الاقتصادية، (الرياض) 9/ 11/ 2014، في:
https://www.aleqt.com/2014/11/09/article_904058.html.

قصارى جهدكم لترك مكانكم هذا حيث يعيش الكفار، والذهاب إلى مكان آخر تستطيعون أن تعيشوا فيه إسلامكم»، في حين كان الناشط الجهادي الفرنسي عمر أومسين في فرنسا يعرض فكرة مهاجمة الأراضي الوطنية. وبعد أن أصبح أميرًا للكتيبة الفرنسية في تنظيم القاعدة في الشام، لم تتغير وجهة نظره واستمر، على العكس من ذلك، في العمل على الترويج لصورة رومانسية عن المجاهد المدافع عن المسلمين المظلومين، الساعي إلى نسخ عودة الخلافة حرفيًا[93].

عند تحقيق صلة بالإسلام، على خلفية استياء عميق وخوف يحدد رد اعتبار إلى الأنا، يؤدي الإسلام وظيفة تطهيرية تقريبًا، بمعنى أنه يعيد الثقة بالنفس بتحطيم الاحتقار الذي نفثه الغرب، فالكرامة المهدورة هنا تستعاد باللجوء إلى العنف المخَلِص. للمسلمين إذًا حق الدفاع عن أنفسهم وإدانة العدو، وهي تجري على مرحلتين، **أولاهما** تَعَرُّف سياسي للآخر باعتباره عدوًا، **وثانيهما** تغليف السياسي بالديني[94].

لعل هذه الاعتقادات والتصورات تُعَد من بين الدوافع الرئيسة التي دفعت الإسلامويين الأوروبيين - ومن بينهم الفرنسيون - إلى التوجّه إلى مناطق النزاع في الشرق الأوسط اليوم، وفي مقدمها العراق وسورية، تحت رؤى وتوجهات دينية وعقائدية وفكرية، أغلبيتها خاطئة.

بناء على ما تقدم، نرى أن الجهاديين الفرنسيين الذين يقاتلون

(93) Thomson, pp. 221-225.

(94) Viollet, pp. 108-111.

في هذه المنطقة لا يملكون في معظمهم معرفة دينية معمقة أو أنهم اعتنقوا الإسلام حديثًا، في حين جرى تلقينهم العقائد على يد بعض الأئمة المحليين أو من خلال السفر إلى بلجيكا أو إلى أمستردام، حيث يقيم كثير من الشيوخ المتطرفين. كما تؤدي الإنترنت دورًا كبيرًا في تطرف بعضهم الآخر، إذ يُجنّد المراهقون من خلال مواقع التواصل الاجتماعي وغرف الدردشة (chats)، ومن خلال الاتصال الشخصي بالمجند الذي يظهَر أنه مهيأ للجهاد المتطرف، فضلًا عن التجنيد في الدوائر السلفية في فرنسا أيضًا.

ثالثًا: طرائق التجنيد وأدوار الجهاديين الفرنسيين ونشاطهم في العراق وسورية

1- طرائق التجنيد

باتت مسألة تجنيد التيار السلفي المسمّى «الجهادي» إسلاميين فرنسيين متطرفين هاجسًا يشغل بال الحكومة الفرنسية؛ فهذه القضية عادت أخيرًا إلى الساحة الفرنسية في ظل تنامي توجّه مسلمين فرنسيين إلى القتال في العراق وسورية مع جماعات إرهابية، وتحديدًا القاعدة و«داعش» وتفرعاتهما، بما يعيد إلى الأذهان شبح هجمات إرهابية وقعت في مدن أوروبية عدة، منها هجمات باريس ومدريد ولندن، وهذا ما دفع السلطات في فرنسا أخيرًا إلى شن حملات ضد مشتبه فيهم شاركوا في القتال في العراق وسورية، وفي اتخاذ إجراءات وقائية بحق آخرين[95].

---

(95) صلال.

ما يميز طبيعة حياة مسلمي فرنسا هو أنهم يعيشون حياتهم على شكل تجمعات أو طوائف (communautés)، لكنها ليست تجمعات ثقافية ولا تقوم على أسس القرابة أو القومية، إنما هي إسلامية تقوم من خلال المسجد أو التجمعات في المناسبات الدينية، وهذا ما ساعد التنظيمات المتطرفة، وفي مقدمها «داعش»، في سرعة التجنيد والتعبئة. وإذا أردنا بيان أبرز طرائق تجنيد الشباب المسلمين من الفرنسيين، فسنجد أن معظم الدراسات يشير إلى أن الاستقطاب يتم أولًا من طريق الإنترنت، أي قبل أي لقاءٍ وجهًا لوجه، وهنا تتجلى مرحلة افتراضية مهمتها نزع ثقة الشاب بالمجتمع الفرنسي وبزملائه، ومن ثم جعله يشعر بإحساس الجماعة الجهادية نفسه والتماهي معها، حيث تحل هويتها محل هويته الشخصية الفردية. لذلك يجب إقناعه، أولًا، بنظرية المؤامرة، وبأن كل شيء مدبَّر ومدروس من الأقوياء ضد الضعفاء، فالعالم يعاني الظلم والاستغلال والنهب والدعاية الكاذبة، وحوادث 11 أيلول/ سبتمبر مثلًا مدبَّرة، كذلك مرض السيدا، والشركات الكبرى تتآمر على العالم لبيع منتوجاتها، وأميركا تراقب العالم وتقوده، والقوى الرأسمالية تسيطر على كل شيء. ولا يتم التطرق في هذه المرحلة إلى أي جانب روحي أو ديني، إنما يجري التركيز على المؤامرة ومشاعر الظلم حتى يصبح الشخص المستقطَب شيزوفرانيًا يرفض الواقع الظالم. بعد هذا، ينتقل الخطاب من منطق الضحية العاجز والمضطهَد إلى منطق المواجهة ومحاربة الظلم لإنقاذ الضحايا، منطق المبادر، فلا سبيل إلى تغيير النظام ومواجهة المؤامرة وإنقاذ البشر إلا بالمجابهة[96].

(96) أمين.

في فرنسا جهات عدة - جماعات وأفراد - تعمل على تجنيد الإسلامويين الفرنسيين في أنحاء فرنسية مختلفة، وتُسهّل انضمامهم إلى الجماعات الإرهابية المتطرفة في مناطق القتال في الشرق الأوسط، خصوصًا في العراق وسورية(97).

في هذا الشأن، يقول الكاتب الفرنسي فيغنو، في أحد فصول كتابه **فرنسا المجاهدة** *(La France du Djihad)*: «إن الجهاد ثلاث نقرات (clics) - يقصد على الإنترنت - وتذكرة طائرة». وحالما يقرر هؤلاء المقاتلون المتدربون المغادرة، فإنهم لا يجدون أي صعوبة في الوصول إلى العراق وسورية. وإذا ما تجاوزنا مرحلة التطرّف وإجراء الاتصال مع شركات التوظيف، تبدو الرحلة بذاتها شكلية وبسيطة. تقدم شركات السفر إلى الطامحين بالسفر دليلًا شاملًا يضم أفضل مرشدي الجولات السياحية، بميزانية تراوح بين 800 و1500 يورو، تشمل أجور الطيران، وليلة مبيت في تركيا. بعدها، ترشد الشركة الناشط إلى المهرّب على الحدود. ويجب إضافة المبلغ نفسه من أجل تغطية مصروفات الإقامة في المكان، وشراء قطعة سلاح من السوق السوداء، فضلًا عن المصروفات اليومية. وفي مقابلة أجراها ألان روديه،

---

(97) أعلن وزير الداخلية الفرنسي برنار كازنوف أن رجلًا يدعى مراد فارس، وهو مواطن فرنسي من أصل مغربي، يعيش في منطقة أوت سافوا في جنوب شرق فرنسا. كان في سورية منذ تموز/ يوليو 2013، يُشتبه في أنه أحد أهم المجنِّدين للجهاديين الفرنسيين لحساب «داعش»؛ مَثَلَ أمام السلطات القضائية في باريس بعد اعتقاله في أيلول/ سبتمبر 2014 في تركيا، وأصدرت السلطات الفرنسية مذكرة اعتقال بحقه في تموز/ يوليو 2014. قال كازنوف في بيان: «فارس شخص خطر جدًا، وله صلات وثيقة بتنظيم 'داعش' الإرهابي، وله دور مهم للغاية في عملية تجنيد الجهاديين الفرنسيين الشبان في مدينتي تولوز وستراسبورغ، وإرسالهم للقتال في سورية».

مدير البحث في الإرهاب والجريمة المنظمة في المركز الفرنسي للبحث الاستخباري (CF2R) مع مؤلف الكتاب، يجيب ببساطة: «إنه جهاد منخفض التكلفة، هو لا يكلف أكثر من تمضية عطلة في المغرب»[98].

يُطلق فيغنو على أماكن النزاع في الشرق الأوسط اسم «قلب جهادستان»، وهو يصف الخطوات الأولى لعبور الجهاديين الحدود التركية إلى سورية، قائلًا: «يبدأ كل شيء من عبور حدود باب السلامة، ثم الدخول إلى الأراضي السورية من خلال الإجراءات الأكثر مرونة في العالم. من دون سؤال، وبصمت وبساطة، يقوم رجال الشرطة الأتراك بختم الجوازات مع عدم مبالاة مثيرة للانتباه قبل فتح بوابتهم الحمراء. وبعد مسير مئات عدة من الأمتار في الأرض الحرام، يصل المرء إلى أراضٍ يختفي فيها أي نظام ولو بسيط، أمامها لافتة 'مرحبًا بكم في سورية الحرة' مجموعة من الرجال يحملون بنادق الكلاشنكوف على الأكتاف، واستقبال العدد النادر من الصحافيين الذين يواجهون خطرًا هنا»[99].

أخذت شهادات العائلات الفرنسية التي يقلقها ذهاب أبنائها إلى القتال في سورية بالازدياد يومًا بعد يوم؛ إذ غالبًا ما تُروى قصص غريبة عن شباب نشأ في مناخ عائلي لم يكن يؤشر إلى انحرافه. عائلات ما يُعرف بجهاديي سورية، نادرًا ما تتحدث إلى الصحافة. ومن بين القليل ممّا ترويه تلك العائلات عن أبنائها

(98) Vignolle et Ahmed-Chaouch, p. 104.

(99) Ibid, p. 119.

الذين التحقوا بما يسمى «الجهاد في سورية»، يظهر أنها عائلات تعيش تحت الصدمة جراء النفق المظلم الذي سلكه أبناؤها والمصير المأساوي الذي ينتظرهم[100].

تشير الباحثة الفرنسية الأنثربولوجية دنيا بوزار إلى أن الشباب الفرنسيين يُجنَّدون بخطاب فرنسي، عبر مُجَنِدين يعرفون جيدًا الإشكاليات الوطنية الفرنسية، لأنهم نشأوا في فرنسا ويفكرون بالطريقة الفرنسية، ويعودون في نقاشاتهم إلى المسائل الجدلية أو المحرمات الفرنسية، ما يُمكّنهم من كسب ثقة الأشخاص المستهدفين في عملية التجنيد[101].

(100) مثال ذلك، جيرار أب لناشطين شابين التحقا بالشبكات الجهادية في سورية، ولقي أحدهما مصيرًا مأساويًا هناك. يقول جيرار: «عبر شريط الفيديو الذي نشر على اليوتيوب، أيقنت أن ولداي تطرفا في ديانتهما، وبعد مقتل ابني نيكولا في سورية أحسست بحزن عميق وبكآبة شديدة، وغمرتني ثورة داخلية لأنني عاجز عن فعل أي شيء»، وهذا ما شجع جيرار وأقرانه من أقارب الجهاديين الفرنسيين على الخروج عن صمتهم؛ إذ تجمع بعضهم في جمعية لأولياء الجهاديين الفرنسيين لطلب المساعدة من السلطات ومن المجتمع المدني. لا يتردد بعض أولياء الجهاديين في تحميل الحكومة الفرنسية وزر انحراف أبنائه وتطرفهم. تصب بريجيت، وهي أم لجهادية لا تتجاوز السادسة عشرة، جام غضبها على الحكومة الفرنسية، وتقول إن الدولة الفرنسية لا تحمي أبناءها، وإن الشبان والشابات الذين ذهبوا بمحض إرادتهم جرى تلقينهم وغسل أدمغتهم. تستنكر بريجيت متسائلة: «لماذا لا تراقب السلطات حملات الترويج التي تقوم بها الشبكات الجهادية على الإنترنت. مثل هذه الشهادات من عائلات مصدومة تتلقاها يوميًا وسائل الإعلام، وهي فريسة الحيرة والدهشة حيال السرعة التي تتم بها عملية انخراط أولادهم وبناتهم في التنظيمات الجهادية. انظر: «فرنسا تحتجز أهم المجنِّدين للجهاديين الفرنسيين لحساب داعش»، **القرطاس نيوز** (بغداد)، 11/ 9/ 2014، في:
http://www.shafaaq.com/sh2/index.php/news/iraq-news/89395-1400.html.

(101) أمين.

في هذا الشأن، يُشار إلى تساؤل الرئيس الأميركي باراك أوباما عن تفسيرِ لانضمام ما يقرب من ألف رجل وامرأة من فرنسا إلى صفوف «داعش»، ثم قوله: «إنها حقًا سرطان»؛ فهي منذ تنصيبها ما سُمّي «الخلافة» عبر الحدود بين العراق وسورية، تنشر الرعب بين الأقليات الدينية في الأراضي التي ضمتها. والتطرف يصيب الرجال والنساء، والأسر أيضًا، التي تركت فرنسا لتنضم إلى هذه الجماعات التي تُسمي نفسها «الدولة»، وتعيش حالة حرب مستمرة، وتُطبّق فيها الشريعة الإسلامية بشكل منحرف. فما تفسير هذا الانجذاب؟[102].

2- النشاط والأدوار

يؤدي كثير من المقاتلين الفرنسيين في سورية أدوارًا ثانوية. ويوضّح متخصصون بشؤون «الجهاديين» أنه غالبًا ما يظهر تفاوت بين المقاتلين الفرنسيين، ولا سيما من حيث الاختلافات الثقافية واللغوية، وجماعات الجهاديين المحليين في سورية. لكن، في الشهور الأخيرة من عام 2014، لوحظ ظهور أكبر للجهاديين الفرنسيين في أفلام الفيديو أو في مشاهد على موقع «يوتيوب» تعرض قطع رؤوس. في هذا الصدد، يقول الباحث الفرنسي بلانش: «ينضم المقاتلون الفرنسيون في معظم الأوقات إلى جبهة النصرة وداعش، لأن هاتين المجموعتين تتكونان في الأساس من أجانب، وتحملان رسالة عالمية، خلافًا لبعض الجماعات المتمردة المحلية التي تركز على سورية وتقاتل بشكل رئيس فيها». فضلًا عن ذلك، أكّدت معلومات نُشرت على موقع المركز

(102) *Le Point*, 10/9/2014.

الفرنسي للحماية من التطرف الإسلامي أن الكتيبة الفرنسية في جبهة النصرة كانت ناشطة في تجنيد الشباب. وذكر الموقع أن فرنسيًا من أصل عربي يُعرَف باسم «عمر أمسنو» جنّد مراهقات صغيرات، 70 في المئة منهن ينتمين إلى أسر غير مؤمنة. وجُنِّدت هؤلاء الفتيات تحت ذريعة كارثة إنسانية تجري في سورية، وقمع الحكومة السورية للشعب من أجل إثارة العواطف(103).

في ما يخص العنصر الفرنسي من الإسلامويين المتطرفين، أُسِّس ما سُمِّي «لواء القاعدة الفرنسي في بلاد الشام» في سورية. وكما في غيرها من البلدان، كان الإنعاش الأول بين المغتربين الفرنسيين يجري بإعادة تنظيم صفوفها ونموها في ما بينهم. وعلى الرغم من معارضة أي شكل من أشكال الشوفينية، فإن الجهاديين الذين لا يجيد معظمهم العربية، ليسوا استثناءً من القاعدة. وبعد ثلاث سنوات من بدء الحرب، وُجدت العائلة الجهادية منقسمة فرعين متنافسين؛ فداعش من جهة تشكّل منذ صيف 2012 لواءً مكونًا من عدد من الفرانكوفونيين، وبشكل أساس من التونسيين. أمّا «جبهة النصرة» فأتمت في كانون الأول/ديسمبر 2013 تشكيل أول كتيبة فرنسية، إذ، في أوج النزاع السوري، أعاد هذان التنظيمان إنتاج نسخة حديثة وإسلامية من حرب الأزرار، ويضم كل منهما خمسين مقاتلًا، مع أن كل طرف يتهم الآخر بأنه «ليس إلا قطيعًا من الخراف الضالة»(104).

---

(103) «Ces françaises se battent contre l'enrôlement de leurs enfants en Syrie, femme actuelle,» Le Centre de prévention contre les dérives sectaires liées à l'islam (9 mai 2014), dans: https://goo.gl/ta9648.

(104) Ibid, p. 179.

سرعان ما تلاشت آمال الجهاديين الفرنسيين المنضمين إلى المجموعات القتالية في العراق وسورية وتطلعاتهم بعد وصولهم إلى هذين البلدين ومشاركتهم في القتال الدائر هناك، وهذا ما كشفته مراسلات بين مسلحي تنظيم «داعش» وآبائهم، اطلّعَت عليها صحيفة **لوفيغارو** الفرنسية التي أظهرت واقع عيشهم في بؤس وخوف وملل، فضلًا عن خيبة ظن بعد اكتشافهم أن معاني المغامرة الكبيرة التي قاموا بها انهارت بانضمامهم إلى التنظيم الإرهابي. ووجدت **لوفيغارو** أن معظم من كتبوا الرسائل كان يتوسل فيها الحصول على المشورة كي يعود إلى وطنه. وآخرون شكوا من أنهم بدلًا من أن يشاركوا في معركة نبيلة، «كانوا يتصرفون مثل الكلاب»، ولفتت [**لوفيغارو**] إلى أن بعضهم يريد العودة لأنه لم يفعل شيئًا إلا توزيع الملابس والمواد الغذائية ونقل الجثث من الجبهة، فيما كتب أحدهم: «سئمت، فالآيباد لا يعمل وأريد العودة إلى بيتي؛ إذ لا توجد أي وسائل راحة هنا كالتي في فرنسا». وكتب آخر: «يريدون إرسالي إلى الجبهة، لكنني لا أعرف كيف يكون القتال». أشارت الصحيفة أيضًا إلى أن محامين في فرنسا يقومون، نيابةً عن أُسر الشباب، بمحاولة إقناع الدولة بالسماح للجهاديين الفرنسيين من الجنسين، بالعودة من خلال إجراء اتصالات منفصلة مع شرطة مكافحة الإرهاب ومديري الأمن الداخلي ومكتب وزير الداخلية الفرنسي، علمًا أن عدد الجهاديين الذين عادوا حتى كانون الأول/ ديسمبر 2014، بلغ 100 «جهادي»، أُودع 76 منهم السجن. وجاءت محتويات الرسائل التي سُرِّبت إلى الصحيفة، لتتناقض تمامًا مع صورة «الجهاد العنيد» الذي تروّج له المواقع المهتمة بمتابعة أخبار

الجماعات الإرهابية؛ فأحد المتطوعين تذمّر حتى من برودة الطقس، فيما عكست الرسائل أيضًا خوف عدد كبير منهم من الموت أو التعرض للإصابة لأنهم لا يجيدون القتال في وقت يسعى فيه التنظيم إلى دفعهم إلى الصفوف الأمامية، فضلًا عن أنهم يخشون ما يمكن أن يحدث لهم في حال قرروا العودة إلى فرنسا[105].

لعل إحدى أهم المشكلات التي تواجه الجهاديين الفرنسيين في منطقة الشرق الأوسط صعوبة التواصل لغويًا مع غيرهم من المقاتلين الذين أتوا من بلدان عدة وهم يتكلمون لغات مختلفة. في هذا السياق، يقول أحدهم: «قُتل كثير من الإخوة لأنهم لا يفهمون اللغة، فما كانوا يستطيعون فهم الأوامر عند صدورها. كثير من الإخوة قُتلوا بواسطة نيران إخوة آخرين. إنها خسارة لكن حدث ما حدث»[106].

هذه المؤشرات ربما تُعطي دلائل على أن هذه التنظيمات الإرهابية الطارئة في طريقها إلى التلاشي والزوال ومن ثم الاختفاء من ساحة النزاع الحالية، نظرًا إلى بدء انحسار الأسباب التي دعت الإسلامويين الغربيين إلى الانضمام إلى الجماعات المتطرفة، وفي مقدمها العقائد والأفكار المزيفة والمشوشة التي جرى زجها وتضمينها في الجوانب العقائدية والدينية والإنسانية.

---

(105) «صحيفة فرنسية تطّلع على مراسلات جهاديين مع ذويهم: نريد العودة»، الحدث الدولي، 4/ 12/ 2014، في:

http://www.alhadathnews.net/archives/143959.

(106) Thomson, p. 192.

فضلًا عن ذلك، بدأت الخلافات تنشب بين التنظيمات المتطرفة الإرهابية المتعددة في العراق وسورية، بل أحيانًا بين أفراد التنظيم الواحد نفسه من المقاتلين المحليين والأجانب[107].

3- أعداد الجهاديين الفرنسيين المشاركين في القتال في العراق وسورية

على الرغم من أن طريق معسكرات التدريب الجهادية في سورية تبعد كثيرًا عن فرنسا، فإن ذلك لم يحل دون استمرار تدفق المتطوعين الشباب من هذا البلد؛ إذ يُقدَّر عدد الجهاديين الفرنسيين الذين كانوا يقاتلون الأميركيين في العراق في عام 2007 بحوالى ستين فقط، وكان هؤلاء في عداد الميئوس من عودتهم سالمين إلى بلدانهم. يقول عنهم أنطوان صفير: «لن يعودوا متوَّجين بالمجد، لأنهم ببساطة لن يعودوا!»[108]، في حين تُقّدر السلطات الفرنسية عددهم في عام 2010 بنحو 900 إسلاموي فرنسي منضمين إلى المتشددين الإسلامويين في

(107) يمكن ملاحظة ذلك من خلال أحدث التقارير الإخبارية الواردة من مدينة الموصل العراقية، حيث اندلع قتالٌ بين عناصر تنظيم «داعش» من العراقيين وآخرين من تنظيم «التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين» المنضوي إلى تنظيم القاعدة في الموصل، من الفرنسيين والمغاربة في المنطقة الغربية من المدينة، ما أسفر عن مقتل العشرات من الجانبين. وثمة آخرون من جنسيات أخرى يتبعون تنظيم «التوحيد والجهاد». لمزيد من المعلومات، انظر: «اقتتال بين عراقيي داعش و«الجهاديين» الأجانب بالموصل»، صحيفة صوت العراق (صحيفة إلكترونية)، 12/ 5/ 2015، في: http://www.sotaliraq.com/mobile-news.php?id=200696.

(108) Sfeir, p. 72.

العراق وسورية[109]، وهذا ما أكده الكاتب الفرنسي فيغنو مع مطلع عام 2014، بالقول: «... غادر نحو 900 من مواطنينا؛ إذ ينوون المشاركة في القتال، مع أن عددًا منهم عاد. تضع هذه الأرقام فرنسا ضمن تصنيف أوائل البلدان 'المزوَّدة بالجهاديين' في أوروبا الغربية»[110]، في حين يكتب ديفيد تومسون في كتابه **الجهاديون الفرنسيون** *(Le Français Djihadistes)*: «في بداية عام 2014، وتبعًا لأرقام وزارة الداخلية الفرنسية، يصل عدد الجهاديين في سورية إلى عتبة 900 فرنسي مشارك - من المقيمين أو المواطنين - وبينهم نحو 250 مقاتلًا، قُتل منهم عشرون، نفذ ثلاثة منهم عمليات انتحارية على الأرض، ويُقدَّر عدد الجهاديين الفرنسيين بين 300 و500 يحملون جوازات سفر فرنسية»[111].

في نهاية عام 2014، قدّرت صحيفة لوبوان الفرنسية أن في صفوف التنظيم نحو ألف فرنسي من مجموع 25 ألف مقاتل[112]. وبأرقام أكثر تحديدًا، كشفت صحيفة لوموند عن وجود 932 فرنسيًا منضمين إلى الشبكات الجهادية حتى تاريخ 15 أيلول/ سبتمبر 2014، أغلبيتهم من أصول عربية مسلمة[113]، 350 منهم ملاحقون

(109) «شبان وشابات فرنسا يقاتلون بسوريا: كيف يجتذب الجهاديون المتطوعين من باريس؟»، سي أن أن بالعربية، 2/ 10/ 2014، في:
https://goo.gl/OA7NXS.

(110) Vignolle et Ahmed-Chaouch, p. 11.

(111) Thomson, p. 10.

(112) *Le Point*, 10/11/2014.

(113) كشفت مصادر استخبارية غربية عن عدد الجهاديين الوافدين من الدول الغربية إلى سورية، إذ قدّرت عددهم نحو 3000 مقاتل، منهم 900 يحملون الجنسية الفرنسية وينحدرون من أصول مغاربية، إلا أن المعلومة الأخطر التي وَرَدَت في هذا=

قضائيًا، ونصفهم شخصيات غير معروفة من قوات الأمن الفرنسية، إضافة إلى وجود 350 مقاتلًا و63 امرأة و6 قاصرين[114].

أما أرون زيلين[115]، فيشير إلى أن الحشد الحالي للمقاتلين الأجانب في سورية أمر غير مسبوق من ناحية عدد الأفراد، والدول الممثلة فيه، وسرعة الحشد. ومنذ بدء توافد الأجانب إلى سورية في أواخر عام 2011 وأوائل عام 2012، ووفقًا لأكثر من 1700 مصدر أولي وثانوي جُمِعت من لغات متعددة، يقدّر عدد هؤلاء الأجانب بنحو تسعة آلاف مقاتل من 80 دولة، يأتي القسم الأكبر منهم من العالم العربي وأوروبا الغربية، وانضمت الأغلبية العظمى منهم إلى منظمات إرهابية مثل «داعش»، فضلًا عن جبهة النصرة، وهي فرع تنظيم «القاعدة» في سورية. بين عامي 2003 و2007، قرر نحو أربعة آلاف أجنبي الانخراط في قضية الجهاد خلال الحرب في العراق. ويصل عدد المنضمين إلى نحو نصف العدد أو أقل من الذي رأيناه حتى الآن في سورية[116]، في حين

=التقرير تتعلّق بالجهاديين الفرنسيين من أصول تونسية، حيث قُدّر عددهم بنحو 500 مقاتل.

لمزيد من المعلومات، انظر: الحبيب الميساوي، في: الشروق (تونس)، 14/6/2014.

(114) *Le Monde*, 26/9/2014.

(115) آرون ي. زيلين، متخصص في معهد واشنطن وفي المركز الدولي لدراسة التطرف. يدير موقع Jihadology.net يتركز بحثه هذا على كيفية تكيف الجماعات الجهادية مع البيئة السياسية الجديدة في عصر الانتفاضات العربية، وعلى السياسة السلفية في البلدان التي تنتقل إلى الديمقراطية.

(116) قدَّمَ رؤيته في وثيقة تتضمن معطيات حول خلفية المقاتلين الأجانب استنادًا إلى عرض قدمه «اتحاد الشراكة من أجل السلام» في «ورشة عمل لمكافحة=

تختلف تقديرات جيمس كلابر - مدير الاستخبارات الوطنية الأميركية - لأعداد المقاتلين الأجانب في سورية، وأغلبيتهم من العالم العربي، إذ يُقَدَّر عددهم بنحو سبعة آلاف مقاتل[117].

تُظهر متابعة حركة المتشددين الإسلامويين الفرنسيين المتجهين إلى القتال في العراق وسورية تزايد أعدادهم عامًا بعد آخر، وبشكل لافت؛ فمع مطلع عام 2015، أعلنت الحكومة الفرنسية أن 1400 فرنسي أو مقيم في فرنسا رحلوا أو يستعدون للانتقال إلى العراق وسورية والمشاركة في القتال هناك. تمثل هذه الأرقام زيادة جديدة بالنسبة إلى التقديرات التي قدمتها الحكومة في منتصف كانون الأول/ ديسمبر 2014. يوضح فالس، رئيس الوزراء الفرنسي: «يُشكّل ذلك زيادة كبيرة ضمن مدة قصيرة، فبعد أن كانوا 30 مقاتلًا عندما توليت منصب وزير الداخلية (في منتصف عام 2012)، أصبحوا اليوم 1400 مقاتل». ووفقًا لأحدث تقارير وزارة الداخلية الفرنسية، جاء أن عدد الجهاديين الذين غادروا فرنسا للمشاركة في القتال في العراق وسورية ازداد في عام 2014 بنسبة 80 في المئة[118].

= الإرهاب» أقامها الاتحاد في بروكسل بين 23 و25 نيسان/ أبريل 2014، لمزيد من المعلومات، انظر:

Aaron Y. Zelin, «Sunni Foreign Fighters in Syria: Background, Facilitating Factors, and Select Responses», *The Washington Institute* (May 2014), in: https://goo.gl/fOkPGt.

(117) Patrick Cockburn, *Le Retour des Djihadistes: Aux racines de l'État Islamique*, Traduction de Adrien Jaulmes (Paris: Equateurs documents, 2015), p. 126.

(118) «تفكيك خلية لتجنيد الجهاديين في فرنسا»، روسيا اليوم، 15/ 4/ 2015، في: http://arabic.rt.com/news/768006.

أمّا في شأن الخسائر البشرية التي تكبدها المقاتلون الفرنسيون، فصرّح وزير الداخلية الفرنسي كازنوف في كانون الثاني/ يناير 2014 بأن 73 فرنسيًا مسلمًا متشددًا قُتلوا على مسرح العمليات الإرهابية في العراق وسورية[119]، في حين يذكر الصحافي الفرنسي فيغنو: «... مقاتلونا الفرنسيون في طليعة المقاتلين الأجانب في منطقة الشرق الأوسط، خصوصًا في العراق وسورية، إذ يصل عددهم إلى نحو 1000 مقاتل، قُتل منهم 36 مقاتلًا خلال الاشتباكات»[120].

أشار تقرير برلماني صدر أخيرًا في فرنسا إلى علاقة نحو 950 شخصًا بالقتال في سورية، يتوزعون كالآتي: 350 شخصًا في الميدان، 220 شخصًا يستعدون للذهاب إلى مناطق القتال، 150 شخصًا يتجهون إليها حاليًا، و180 شخصًا عادوا منها. أمّا في ما يتعلق بالحالات التي رُدع أصحابها عن الذهاب إلى القتال في أعقاب إنشاء منصة التبليغ التي افتُتحت في ربيع عام 2014 - وهي كناية عن رقم هاتف «ضد الجهاد» أتيح للعائلات التي تخشى

---

(119) لقيَ عدد من الفرنسيين حتفهم خلال المعارك في سورية في العامين الماضيين، بينهم الشقيقان جان دانيال ونيكولاس. وكان هذان الشابان قد اعتنقا الإسلام المتطرف قبل مدة قصيرة من انضمامهما إلى المتمردين في سورية. ظهر الشقيقان في شريط فيديو يحملان بنادق كلاشنكوف ويطالبان الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند باعتناق الإسلام لإنقاذ روحه من «نار جهنم»، بحسب قولهما. وهما ليسا الوحيدين اللذين سلكا هذه الطريق، فأبو محمد الفرنسي اعتنق هو أيضًا الإسلام وقُتل خلال معركة كان يحارب فيها في صفوف منظمة إسلامية تُطلق على نفسها «أحرار الشام». لمزيد من المعلومات، انظر: منى علمي، «أدوارهم ثانوية وأغلبهم لا يملكون معرفة دينية معمقة أو اعتنقوا الإسلام أخيرًا».

انظر: علمي.

(120) Vignolle et Ahmed-Chaouch, p. 11.

مغادرة أحد أفرادها - فقد أكّد وزير الداخلية الفرنسي: «إنه تم الحؤول دون مغادرة 70 شخصًا في الأقل من مجموع 350 شخصًا أُبلغ عنهم، 80 منهم من القاصرين و150 من النساء»[121].

في شأن آخِر الإحصاءات الرسمية المتعلقة بأعداد الفرنسيين المنضمين إلى التنظيمات الإرهابية خارج فرنسا، تحدث فالس في خطابه الموجَّه إلى الفرنسيين في 13 كانون الثاني/ يناير 2015 قائلًا: «ازداد عدد الذين شُخِّص بأنهم جهاديون دوليون في فرنسا، وكما هو في جميع البلدان الأوروبية، بقوة في عام 2014، ومنذ مراجعة قانون مكافحة الإرهاب في عام 2012، قُلت حينها إن هناك في فرنسا عشرات [الجهاديين] المحتملين من أمثال محمد مراح، وتأكد بمرور الوقت صحة هذا التشخيص»[122]، في حين تُشير الأرقام الرسمية التي قدمها فالس على هامش مؤتمر صحافي عُقِد في 19 آذار/ مارس 2015 إلى وجود 1900 جهادي أو شخص واقعين تحت تأثير الخطاب الجهادي، استطاع 770 واحدًا منهم الالتحاق بـ «داعش» و«النصرة». عاد قسم منهم، وبقي هناك 420 شخصًا، بينهم 119 امرأة. وأكد فالس وجود زهاء 300 جهادي فرنسي في تركيا يحاولون العبور إلى سورية[123]. تدلّ هذه الزيادات الكبيرة في أعداد الراغبين في القتال ضمن

(121) «930 مواطنًا لهم علاقة بالقتال في العراق وسورية: وزير داخلية فرنسا يعلن أن 930 مواطنًا فرنسيًا يقاتلون في العراق وسورية من ضمنهم 60 إمرأة»، I24 news، 14/ 9/ 2015، في:

https://goo.gl/SKJyDr.

(122) Valls, p. 18.

(123) أمين.

صفوف المتشددين الإسلاميين المتجهين إلى العراق وسورية، الذين ربما يعودون إلى تنفيذ عمليات إرهابية في بلادهم[124]، على تضاعف عدد الفرنسيين والمقيمين في فرنسا المتورطين في شبكات المتشددين الإسلاميين، ولا سيما منذ بداية عام 2014، على الرغم من أن السلطات الفرنسية كانت قد فككت 13 خلية تجنيد معدّة للذهاب إلى هذين البلدين. وتُعتبر فرنسا، مع بلجيكا، في طليعة البلدان الغربية التي ينطلق منها أكبر عدد من المتطوعين للقتال في صفوف «داعش»[125].

(124) منفذا الاعتداء على مجلة شارلي إيبدو الساخرة هما الأخوان شريف وسعيد كواشي اللذان ينتميان إلى من رحلوا لتلقّي تدريبات على ممارسة الإرهاب، وعادوا إلى فرنسا، سبقهم إلى ذلك قبل أعوام عدة محمد مراح، منفذ اعتداءات تولوز.

(125) «1400 فرنسي يقاتلون في صفوف داعش أو يرغبون في ذلك»، رابطة المرأة العراقية، 12/ 1/ 2015، في:

https://goo.gl/Lp34Xs.

الفصل الرابع

إجراءات فرنسا في مواجهة ظاهرة الجهاديين الفرنسيين

تعمل فرنسا يومًا بعد آخر على مواجهة التنظيمات الجهادية المتطرفة الموجودة على أراضيها أو تلك الآتية إليها من الخارج، وذلك من خلال اتخاذ عدد من الإجراءات الجديدة في مجالات متعددة؛ إذ تحدث رئيس الوزراء الفرنسي فالس في خطاب وجهّه إلى الفرنسيين في 13 من كانون الثاني/ يناير 2015 عن عدد من الإجراءات التي اتخذتها فرنسا في التصدي للجماعات الجهادية الإرهابية داخلها، كان من بينها: اتّباع سياسات الإدماج ومنع «الردكلة»، ومتابعة نشاط هذه الجماعات ومراقبتها على شبكة الإنترنت، وإصدار التشريعات اللازمة في ما يخص تجريم أفعالها والحد من نشاط، وإيجاد نظام جديد للتعامل مع بيانات المسافرين - بدأ تطبيقه في أيلول/ سبتمبر 2015 - يُشدد مانويل على الحاجة إلى نظام مماثل ينبغي أن يتّبِعه الأوروبيون أيضًا. فضلًا عن ذلك، إنه يدعو إلى معالجة مسألة تنامي التطرف في السجون التي يجري فيها كسب انتماء أغلب المتطرفين الإسلامويين وإعدادهم، ويؤكد أيضًا ضرورة وضع إجراءات جديدة لمعالجة تطرف الشباب، وبشكل خاص ذلك الآتي من البطالة والفقر والتهميش وسوء المعاملة، كما اقترح إنشاء مديرية خاصة للحماية القانونية للشباب[1]. أُلخص في ما يلي أهم هذه السياسات والإجراءات.

---

(1) Manuel Valls, *L'Exigence*, collection documents francais (Paris: Grasset & Fasquelle, 2016), pp. 36-42.

أولًا: سياسات الإدماج ومنع الردكلة

لم تُطرح موضوعات الهوية والاندماج بوصفها إشكالية للنقاشات العامة في فرنسا إلا في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، عندما استأثرت منذ ذلك الحين باهتمام متزايد؛ حيث كان لقرار وقف الهجرة الرسمية في عام 1974 وتعويضها بسياسة التجمع العائلي الأثر البالغ في تغيير التركيبة الاجتماعية للمهاجرين المسلمين. وبعد التئام العائلة في فرنسا، وجد العمال المهاجرون أنفسهم أمام مسؤوليات جديدة، إضافة إلى توفير الإمكانات المادية للأسر الحديثة العهد في هذا البلد، فهم عملوا على الانخراط أكثر في تربية أولادهم، والاهتمام بنقل التراث الثقافي والديني إلى لأجيال الجديدة. وتلاشى حلم الهجرة الموقتة بمرور الوقت، وفضّل هؤلاء المهاجرون الاستقرار النهائي في فرنسا التي اعتبروها أرض المهجر لاعتبارات اقتصادية واجتماعية في الأساس. وأمام تنامي الحضور الإسلامي وازدياد أعداد أبناء المهاجرين، عملت فرنسا على بلورة سياسات جديدة لإدماجهم كليًا في المجتمع الفرنسي[2].

يجد أبناء المهاجرين المسلمين في الدين الإسلامي، ولا سيما في التأويلات الأكثر تطرفًا، مخرجًا من أزمة الهوية. وفي أوروبا شباب من الجوالي المسلمة لا يستطيعون قراءة القرآن أو حتى

(2) يوسف نويوار، «واقع وآفاق تدبير الإسلام والمساجد والجمعيات الدينية الإسلامية بفرنسا»، الموقع الإلكتروني لمجلس الجالية المغربية في الخارج، 23 كانون الثاني/ يناير 2016، في:

http://www.ccme.org.ma/ar/entretiens-ar/37787.

فهمه، لكنهم يتبنون التفسيرات السلفية بكل جوارحهم لأنها تهبهم هوية وترسم لهم هدفًا: الحرب على الكفار. تؤمن لهم هذه الهوية الإسلامية أيضًا المبرر للتعبير عن رفض نظام لا يستطيعون هؤلاء الشباب التأقلم معه أو لا يرغبون في التأقلم معه[3]، في حين لا تُشكِّل التعبيرات القوية عن الهوية الإسلامية البُعد الوحيد للمشكلة؛ فهي تتزامن مع مرور المجتمعات الأوروبية بأزمة حقيقية في الهوية، وفي تحديد القيم الأوروبية التي يريد المجتمع أن يدافع عنها في مواجهة القيم الإسلامية. يربط بعض المحللين هذه الأزمة بتنفيذ سياسات الإدماج التي تعمل الحكومة الفرنسية على تنفيذها. تتعامل البلديات والمجالس المحلية في فرنسا وبعض الدول الأوروبية مع ظاهرة تزايد المسلمين فيها، بطريقة تجعل من الإسلام في أوروبا واقعًا حيًا تتعامل معه بشكل أساس باعتباره جزءًا من عملها، على الرغم من معارضة بعضها القوانين المعمول بها، فنجد المسلمين يتمتعون بحق ممارسة الدين شعائر وعقيدةً ورموزًا، وتجد الأذان يرتفع مع وجود مساجد كثيرة في باريس وباقي المدن الفرنسية. وتُعَد فرنسا الأكثر تطبيقًا لهذه السياسات الاندماجية بين الدول الأوروبية، وترى السلطات الفرنسية أهمية بذل هذا الجهد، خصوصًا مع ازدياد عدد المسلمين الأوروبيين وغير الأوروبيين، حيث تحمي المسلمين من النزعات المتطرفة عبر دمجهم بالمجتمعات المستضيفة، وهو شعور إيجابي يقاوم شعورًا سلبيًا يُدعى «الردكلة» المرتبطة

---

(3) كارن أبو الخير، «ملامح الجدل الأوروبي حول الهجرة والإسلام»، السياسة الدولية، العدد 189، 2012، في:

https://goo.gl/AzmraE.

غالبًا، بتجليات من شعور العزلة داخل المجتمعات المستضيفة[4]، ما يحرم الجماعات العنفية حاضنةً تجدها في داخل جماعات مهزوزة نفسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، ومن ثم يُحرفها عن كونها قنبلة موقوتة داخل المجتمع باتجاه كونها جزءًا من المجتمع المستضيف[5]، على الرغم من أن بعض المراقبين يرى أن السكان الأجانب يختلفون عن السكان الفرنسيين وأن ثمة صعوبة متزايدة في دمج المسلمين بشكل أوسع، فإضافة إلى المعوّقات الدينية، وهي كبيرة، هناك أيضًا الاختلافات الثقافية[6].

يُعتقد أن المناطق المعزولة في المدن الأوروبية التي يقطنها في الغالب العمال والمهاجرون غير الشرعيين، هي إحدى تلك المناطق التي صدّرَت جهاديين في حربي العراق وسورية. لذلك، باتت السلطات الفرنسية واعية أهمية تنمية تلك المناطق لتغدو، في بعض الأحيان، سابقة تنمويًا لمراكز المدن وأحيائها الراقية التي تعمل على تغييب ظاهرة العزلة الاقتصادية داخل المجتمع الفرنسي.

---

(4) وفقًا لاستطلاع رأي أجراه في مطلع عام 1991 أشخاص من أصول مسلمة يقيمون في فرنسا لمصلحة خدمات المعلومات والتوزيع لمكتب الوزير الأول الفرنسي، وشمل عينة من 614 فردًا من أصول مسلمة، عبّر 55 في المئة من المستبيَنين عن قلق من العيش في فرنسا، حيث يوجد 70 في المئة من هؤلاء يفضلون العيش فيها بشكل دائم و20 في المئة يفضلون العودة إلى البلد الأصلي لعوائلهم، ولم يبد العدد الباقي أي رأي. انظر:

Gilles Kepel, *A l'Ouest d'Allah*, collection points (Paris: Seuil, 1994), p. 309.

(5) أحمد صلال، «كيف تقاوم فرنسا «الظاهرة الجهادية» بين مسلميها؟»، أورينت نت، 15/ 9/ 2014، في:

https://goo.gl/YgpNB4.

(6) مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب الفرنسية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 280.

لا تغيب عن ذهن المراقبين الفرنسيين السياسات الإعلامية والثقافية التي تنتهجها السلطات الفرنسية، والتي تؤدي دورًا أساسيًا في محاربة عمليات التجنيد، عبر إعادة إنتاج سياسات الاندماج التي يُعتبر فيها المسلم صاحب هوية داخل المجتمع الفرنسي (مواطنًا) وصاحب هوية واسعة الامتداد ومتعالية على باقي الهويات، درءًا للسياسات الأميركية الخاطئة التي تحرض على إعادة إنتاج المسلمين لمفهوم (الأمة) داخل بلدان الاندماج. لذا، نجد أن في مجال المشاركة السياسية، على سبيل المثال، تعّد المشاركة العربية والإسلامية في الانتخابات البلدية والبرلمانية في فرنسا الأكبر في أوروبا، وغالبًا ما كانت أحزاب اليسار والوسط في فرنسا تستعين بمرشحين وعرب ومسلمين على قوائمها، وفي ظاهرة فرنسية غير مسبوقة، حازت امرأة مسلمة من أصول جزائرية حقيبة وزارة التربية والتعليم[7].

يبدو الأمر غير محمود العواقب، ولا سيما عندما يتعلق بفشل سياسة الإدماج، وتعمد التهميش، خصوصًا إزاء شريحة من الشباب من أبناء المهاجرين الذين يجدون أنفسهم ضحية الفقر والعنصرية والبطالة، فيقعون فريسة المخدرات والجريمة وتجار الدين الذين لا يتوانون عن استغلال المراهقين من الجنسين، واستغلال المواقع الاجتماعية لدفعهم إلى التطرف والسقوط في فخ الجماعات المتشددة[8].

---

(7) صلال.

(8) آسيا العتروس، «تأخر فرنسا في تطويق ظاهرة الجهاديين بسوريا ضاعف المخاطر على تونس والمنطقة»، الصباح (تونس)، 4/ 5/ 2014.

حين تقويم سياسات الإدماج التي انتهجتها فرنسا منذ عقود عدة، نجد أنها لم ترقَ إلى مستوى القبول والطموح والقبول عند العرب والمسلمين بشكل خاص؛ فهُم لا يزالون غير مطمئنين لصدقية هذه السياسات واستمراريتها وتحققيها النجاح مستقبلًا. لعل هذه المسألة تعَد مهمة وحيوية في منع التطرف والتشدد.

ثانيًا: متابعة نشاط الجماعات الإرهابية على شبكة الإنترنت ومراقبته

من العناوين المحجوبة إلى ألعاب الإنترنت، تقوم الشبكات الإرهابية بتطوير طرائق استخدامها وسائل الاتصال الإلكترونية للتواصل والتجنيد، ما يجعل أجهزة الأمن الفرنسية في سباق دائم مع التطور التكنولوجي في مراقبتها ومتابعتها من أجل كشفها وفك رموز رسائلها ومواجهتها[9]. وهنا، يطرح بعض الخبراء سؤالًا إذا كان يمكن التحرك بسرية على الإنترنت والإفلات من المحاسبة.

لكن، يبدو أن الأمر ليس مضمونًا تمامًا، وإن باتت الخلايا

---

(9) يقول أرنو كوب من شركة «بالو التو نتوركس» للأمن المعلوماتي: «لا ننجح دائمًا في فك الرسائل، لكن تحليل تدفق الرسائل ووتيرتها وحجمها ومصدرها ومتلقيها، كلها عناصر مهمة». يضيف: «مع بروز تنظيم الدولة الإسلامية، شهدنا ظهور تطبيقات محددة تم تطويرها لاحتياجات خاصة. ستكون لدينا الوسيلة لتتبع مسار الاتصالات من خلال هذه التطبيقات، لكن هذا لا يضمن القدرة على فك رموزها أو كسر التسلسل الخوارزمي. ستمكن على الأقل من معرفة متى تم تحميل التطبيق ومجال استخدامه... ولعل هذا يعطينا خيط تتبع غاية في الأهمية». انظر: «يفضّلون «تلغرام مسنجر» الروسي للرسائل الآمنة: الإرهابيون على خطى قراصنة الإنترنت»، السفير، 25/ 1/ 2016، متوفر في:
http://assafir.com/Article/1/470032/SameChannel.

الإرهابية تلجأ إلى الطرائق نفسها التي يلجأ إليها قراصنة الإنترنت، بحسب الخبراء المشاركين في المنتدى الدولي لأمن الإنترنت الذي عُقِدَ في مدينة ليل، شمال فرنسا يومي 24 و25 كانون الثاني/ يناير 2016[10].

تتساءل بوزار، وهي التي قامت بدراسة عيّنة من 120 أسرة فرنسية يرغب أبناؤها في الذهاب إلى سورية: «هل نعرف بالضبط أساليب التلقين على شبكة الإنترنت؟». ويصدر تشكيكها هذا في الوقت الذي تملك أجهزة الاستخبارات الفرنسية خطة مراقبة طويلة الأمد على الشبكة الدولية للإنترنت شرعت بها منذ سنوات عدة[11]. فضلًا عن ذلك، هناك إعلان هيئة مراقبة الإنترنت الفرنسية في أواخر عام 2015 إلى وجود نحو 1200 ملف شخصي، يُشكِّل كل منها حالة خطرة من خلال نشر رسائل وفيديوات تساند المجموعات الإرهابية[12].

بعد تقويم الحكومة الفرنسية الخطر المتنامي لشبكة الإنترنت في تجنيد الشباب الفرنسيين المتطرفين ودفعهم إلى سوح القتال، نصّت المادة 9 من مشروع قانون مكافحة الإرهاب، بعد مناقشته في مجلس الشيوخ الفرنسي، على إزالة بعض المحتويات عن شبكة الإنترنت، وهو توّجه يعتبره بعض المتابعين «شديد

---

(10) المرجع نفسه.

(11) Willy Le Devin, «La Radicalisation des futurs djihadistes est rapide: La plupart sont des convertis,» *Libération*, 14/ 9/2014.

(12) عزام أمين، «الجهاديون الفرنسيون: من هم؟ وكيف يتم تجنيدهم؟»، ميكرو سوريا، 17/ 11/ 2015، في:

https://goo.gl/EwUlWm.

القسوة»، علمًا أن نحو عشر سنوات مضت على وجود مواقع للإسلام المتطرف على شبكة الإنترنت، أغلبها مواقع سلفية وعلى درجة عالية من التخصص، تعرض بعض أشرطة الفيديو لبن لادن أو أمراء حرب آخرين، كما تعرض صورًا وفيديوات تبث إعلانات لفتاوى تحث على التطرف والإرهاب. أمّا الآن، فتضاعفت هذه الأعداد حتى أضحت آلاف من الصور ومقاطع الفيديو وغيرها من المحتويات تمر عبر مواقع «فيسبوك» و«تويتر» و«يوتيوب» و«انستغرام»، تدعو إلى الجهاد المتطرف وإلى تشجيع الإرهابيين المحتملين على تنفيذ أفعالهم الشريرة[13].

---

(13) قصة فرح، التي عُرضت في مجلة *Le Nouvel Observateur*، مفيدة في هذا الصدد. الفتاة شابة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا، جُندَت لارتكاب هجوم في فرنسا بعد نشرها رسالة على «فيسبوك» تذكر فيها «شعورها بالضيق والضجر». بعد الاستماع إلى عدد من شهود عوائل الجهاديين الذين غادروا للقتال في سورية، ظهر لوزارة الداخلية الفرنسية أن الجميع رووا القصة نفسها التي تحكي أن هؤلاء المراهقين انزووا في غرفة ساعات عدة لمشاهدة فيديوات مشاهد متطرفة على الإنترنت. اتضح أن أغلب الشخصيات المنضوية إلى التشكيلات السورية «أناس بلا تأريخ، فهم لم يميلوا إلى التطرف في قاعات الصلاة السلفية، بل لدى دخولهم إلى عالم الإنترنت». وذكر مصدر مقرب من هذا الملف أن بالنسبة إلى الأغلبية العظمى من الجهاديين الفرنسيين، يجرى أول لقاء مباشر معهم وجهًا لوجه مع مجنديهم على الحدود التركية - السورية، أمّا ما يلي ذلك فيتم عبر الفضاء الافتراضي. انظر:

Eugénie Bastié, «Comment la France veut lutter contre le cyberdjihadisme?,» *Le Figaro*, 15/10/2014, dans: https://goo.gl/qUXHYE.

مثال آخر هو انضمام اثنين من المراهقين إلى الكتيبة الفرنسية التابعة لجبهة النصرة في كانون الثاني/ يناير 2014، يبلغان من العمر خمسة عشر عامًا، وتعود أصولهما إلى مدينة تولوز الفرنسية. وجرى انضمامهما من خلال موقع «فيسبوك»، وكانا من أصدقاء أبو آل آش، الأمير الثاني الذي كان مخرج فيديوات جهادية عندما كان في فرنسا. لمزيد من المعلومات، انظر:

David Thomson, *Les Français jihadistes*, collection politique actualités (Paris: éditions Arènes, 2014), p. 192.

في السياق ذاته، المتعلق بإجراءات مواجهة الإرهاب وحركة الجهاديين المتطرفين، عاد فالس إلى الحديث عن ضرورة اعتماد الاتحاد الأوروبي نصًا في شأن نظام سجل أسماء المسافرين[14] (PNR) الذي يوفِّر بموجبه استخدام بيانات المسافرين لمنع الأعمال الإرهابية والجرائم الخطِرة الأخرى، وإجراء التحريات في شأنها والملاحقة القانونية للمسافرين الذين لديهم نيات القيام بأعمال إرهابية[15]؛ إذ جرى اتفاق موقت توصل إليه البرلمان الأوروبي ومجلس المفاوضين في 2 كانون الأول/ ديسمبر 2015، وهو يقوم على مشروع توجيه من الاتحاد الأوروبي ينظم استخدام سجل يتضمن بيانات أسماء المسافرين (PNR) لمنع حركة المجرمين والإرهابيين، والكشف والتحقيق والمقاضاة في الجرائم الإرهابية والجرائم الخطِرة المُقرة من الحريات المدنية، والعدالة ولجنة الشؤون الداخلية في 10 كانون الأول/ ديسمبر 2015 بأغلبية 38 صوتًا في مقابل 19

(14) اتفقت دول الاتحاد الأوروبي على تطبيق نظام تسجيل بيانات ركاب الطائرات، وتقرر في الاجتماع الذي عقده مجلس الشؤون العدلية والداخلية للاتحاد الأوروبي في بروكسل، تطبيق نظام تقاسم معلومات الطيران المتعلقة بالمسافرين. وبموجب هذا الإجراء الجديد، سيمكّن استخدام بيانات المسافرين من منع الأعمال الإرهابية والجرائم الخطِرة الأخرى، ومن إجراء التحريات بشأنها والملاحقة القانونية للمسافرين لأغراض إرهابية. طبقًا لذلك، فإن شركات الطيران ملزمة قانونيًا تزويد مسؤولي دول الاتحاد الأوروبي ببيانات المسافرين ضمن إطار الرحلات داخل الاتحاد. انظر:

NTR Arabic, accessed on: 12/1/2016, in: http://www.trt.net.tr/Arabic.

(15) خطاب رئيس الوزراء الفرنسي مانويل فالس في 19 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 في أعقاب حوادث 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015، وإعلان حالة الطوارئ. انظر:
Valls, pp. 72-73.

وغياب اثنين. وتقرر طرح مشروع التوجيه للتصويت في البرلمان الأوروبي ككل في مطلع عام 2016[16].

تبقى إجراءات مراقبة استخدام الإرهابيين التقنيات الحديثة ومتابعتها عصية في أغلبها على الجهات الأمنية، أكان ذلك في فرنسا أم في خارجها. فعلى سبيل المثال، يُفَضل الإرهابيون استخدام بطاقات «وحدة تعريف المشترك» الهاتفية التي تُستخدم للتشويش، كما يفضلون الأجهزة المشفرة حتى لا تتمكن عناصر أجهزة الأمن من إخراج المعلومات منها في حال وقعت بين أيديها. وهُم يتجنبون المحادثات العادية أيضًا، في حين لم يتمكن الخبراء حتى الآن من إخراج المعلومات من جهاز آيفون عُثر عليه بعد اعتداءات تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 في باريس[17].

بناء عليه، تدل المعطيات المذكورة أعلاه على عدم قدرة أجهزة المراقبة والمتابعة على رصد جميع الشفرات ومفاتيح الشبكات وأجهزة الاتصالات التي تعمل الجماعات الإرهابية على تطوير حمايتها من الاختراق وكشفها.

ثالثًا: التشريعات القانونية

1- النظام الفرنسي لمحاكمة الجهاديين

حرصت الحكومة الفرنسية على التشديد على تكوين الإطار التشريعي الذي لا بد منه، لتوفير الأساس القانوني لتجريم الأعمال

(16) «EU Passenger Name Record (PNR) Proposal: An Overview,» European Parliament News, 14/12/2015, in: http://www.europarl.europa.eu/news/en/news-room/20150123BKG12902/EU-Passenger-Name-Record-(PNR)-proposal-an-overview.

(17) «يفضّلون «تلغرام مسنجر» الروسي للرسائل الآمنة».

الإرهابية، بهدف مساعدة الجهات الأمنية على تفكيك الخلايا التي تجنّد الجهاديين وتموّلهم وتسهّل خروجهم من فرنسا، وتخضعهم قبل ذلك لعملية غسل دماغ؛ فأجهزة الاستخبارات الفرنسية تعتقد أن عمليات التجنيد في فرنسا تجري في داخل السجون والمساجد ومن خلال الإنترنت[18]. كما تتطلّع الحكومة الفرنسية إلى توثيق التعاون الأمني وتبادل المعلومات مع البلدان الأوروبية والعربية ومع دول أخرى، مثل تركيا، لمنع وصول الجهاديين، وذلك من خلال اعتقالهم وتسليمهم إليها.

من أجل ذلك، وضعت الحكومة الفرنسية مجموعة من القوانين ضمن خطة خاصة اتخذت بموجبها إجراءات عدة ترمي من ورائها إلى القضاء على ظاهرة تجنيد مقاتلين في صفوف «داعش» والتنظيمات المتطرفة الأخرى في فرنسا. كما عمدت إلى تخصيص رقم هاتف يتيح للعائلات التبليغ عن أبنائها الراغبين في مغادرة فرنسا والانضمام إلى التنظيمات المتطرفة، وطلب المساعدة من السلطات الفرنسية.

غير أن نوابًا في البرلمان الفرنسي يشككون في فاعلية الإجراءات الاحترازية التي من بينها سحب الجنسية وجدواها،

(18) من الجدير بالذكر أن المساجد في فرنسا تديرها جمعيات دينية إسلامية، وتخضع لقانون العلمانية الفرنسية الصادر في عام 1905؛ هذا القانون الذي يُسمى أيضًا قانون «فصل الكنيسة عن الدولة»، ويُعد بمنزلة التربة التي ينمو فوقها كل تنظيم ديني في فرنسا، والدعامة الأساس لعلاقة الدولة بالأديان. بموجب هذا القانون، تضمن الجمهورية الفرنسية حرية العقيدة لجميع المواطنين، لكنها في الوقت ذاته لا تُموِّل ولا تتبنى أي دين، فالدولة الفرنسية لا دين لها. انظر: نويوار.

كما يشككون في قدرتها على احتواء ظاهرة تزايد أعداد الجهاديين في ظل بقاء النزاع في أماكن متعددة من منطقة الشرق الأوسط مستمرًا، ما يعني بقاء التربة التي تغذي توسع هذه الظاهرة[19].

في إطار استحداث تشريعات جديدة لمواجهة التمدد الإرهابي للجماعات المتطرفة داخل فرنسا، قدَّم وزير الداخلية الفرنسي كازنوف خطة لمكافحة الإرهاب، مع مشروع قانون لتجريم هذه الظاهرة. هذا القانون، الذي ناقشه البرلمان الفرنسي في منتصف أيلول/ سبتمبر 2014، تضمّن عشرة إجراءات، بما في ذلك حظر مغادرة المرشحين البلاد للجهاد، وحرمانهم من جوازات سفرهم، ومنع كل محتوى إرهابي على الإنترنت[20].

نصّ مشروع قانون مكافحة الإرهاب الفرنسي على منع مغادرة فئات وأعمار معيّنة الأراضي الفرنسية، للحؤول دون توجّه شباب إلى المشاركة في القتال خارج فرنسا؛ إذ أقرّ النواب الفرنسيون فرض منع إداري للخروج من الأراضي الفرنسية، بهدف منع مغادرة المرشحين للجهاد إلى العراق وسورية، وهو أحد الإجراءات الرئيسة في مشروع قانون مكافحة الإرهاب. يستمر هذا المنع ستة شهور قابلة للتجديد سنتين، ويجري خلال تطبيقه سحب الجواز وبطاقة

---

(19) محمد واموسي، «ألف فرنسي في صفوف داعش و15 في المئة من الفرنسيين يحملون رأيًا إيجابيًا عنهم»، القدس العربي، 23/ 8/ 2014.

(20) انظر: «نص قانون مكافحة الإرهاب»، موقع الجمعية الوطنية الفرنسية، 17/ 12/ 2015، في:

http://www.legifrance.gouv.fr/affichTexte.

الهوية من الشخص المعني على أن يحصل على إيصال يوازي بطاقة هويته. وفي حال صدور قرار المنع بحق أي شخص، يُبلَّغ جهاز المعلومات في نظام شنغِن الذي تستخدمه الدول الأوروبية، ويعاقب كل من يحاول خرق هذا المنعٍ بالسجن ثلاث سنوات، ودفع غرامة قدرها 45 ألف يورو، كما يُشكّل سببًا لتوقيف العائدين من مناطق النزاع في الشرق الأوسط[21]. وفي السياق ذاته، وبعد أن أطلقت فرنسا برنامجها لمكافحة التطرف آنف الذكر، والمتضمن خطة تشمل أهدافًا عدة معلنة، تبدأ بمنع المتشددين من السفر إلى سورية، ومنع استقبال الآتين، ومنع القاصرين من مغادرة فرنسا من دون موافقة أولياء أمورهم، وتشديد الرقابة على المواقع الإسلامية التي تجند المقاتلين، وتشجيع شركات خدمات الإنترنت على حظر المواقع ذات الصلة بالجماعات المتشددة، وترحيل الأجانب المرتبطين بها، وإقامة نظام لتشجيع الآباء والأمهات على تحديد أي سلوك مشبوه لدى أبنائهم والإبلاغ عنه[22]. ربما لا تكون هذه الخطوات كلها مضمونة سلفًا، بالنظر إلى ما يمكن تثيره من رقابة على الأفراد والحريات فتتصدى لها المنظمات الحقوقية وغيرها، وكان للولايات المتحدة بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر تجربة مماثلة، ولم يكن من السهل اعتمادها بشكل مطلق[23].

---

(21) «فرنسا تناقش مشروع قانون لمكافحة الإرهاب وتقر قرار أمر منع سفر الجهاديين»، i24news، 17/ 9/ 2014، في:

https://goo.gl/N67awB.

(22) Aaron Y. Zelin, «Sunni Foreign Fighters in Syria: Background, Facilitating Factors, and Select Responses», *The Washington Institute* (May 2014), in: https://goo.gl/fOkPGt.

(23) آسيا العتروس، «تأخر فرنسا في تطويق ظاهرة الجهاديين بسوريا ضاعف المخاطر على تونس والمنطقة»، الصباح (تونس)، 4/ 5/ 2014.

كما هو مثبت على الموقع الرسمي للإدارة الفرنسية (أي سلطات مغادرة الأراضي الفردية والجماعية)، أُلغي السماح للقاصرين الفرنسيين المغادرة من دون آبائهم اعتبارًا من الأول من كانون الثاني/ يناير 2013، وهذا مدرج في تعميم 20 كانون الأول/ ديسمبر 2012. لكن ذلك لم يمنع قاصرين جهاديين فرنسيين من المغادرة، كما حدث في عام 2013، حين غادر عدد منهم، وبينهم فتيات، وانضموا إلى الجهاديين المتطرفين في العراق وسورية[24].

في الواقع، اختارت فرنسا - بعد أن استهانت بظاهرة الجهاديين المتشددين المتجهين إلى منطقة النزاع في الشرق الأوسط في السنوات الماضية - هذه الإجراءات لأن خطابها السياسي إزاء هذه الأزمة شجع، بشكل أو بآخر، كثيرًا من الشباب الفرنسيين ودفعهم إلى الانسياق وراء الحركات الجهادية المتطرفة، بمن في ذلك جماعت «داعش» و«النصرة» الإرهابيتان. وربما تجد فرنسا نفسها مجددًا في غمرة الانصراف إلى البحث عن تطويق الظاهرة وتجنب تداعياتها المحتملة، وراء تضاعف المخاطر بتوجه تلك الجماعات نحو العمليات الانتقامية، في حين تظهر مشكلة كبيرة في البُعد القانوني لكيفية التعامل مع الأشخاص الذين يقاتلون ومن ثم يعودون إلى فرنسا، إذ يعتقد الباحث الفرنسي بلانش أن بعض الأشخاص يتخلى عن التطرف حين يدرك المأزق الذي أوصلته إليه المشاركة في القتال. أمّا بعضهم الآخر، فمن غير الممكن على الإطلاق إصلاحه، وهو أول المرشحين لتنفيذ عمليات

(24) Thomson, p. 202.

انتحارية، الأمر الذي لا شك في أنه سيجنب المعالجين النفسيين عملًا هائلًا[25].

بعد أن وضعت فرنسا نظامًا لمحاكمة الجهاديين، جرت أول محاكمة لرجل فرنسي من أصل صيني يدعى فلافيان مورو، انضم إلى القتال مع الجماعات المتطرفة في سورية في 18 تشرين الأول/أكتوبر 2014، غير أن هذا الأمر لن يتمكن بمفرده من احتواء عودة الجهاديين إلى فرنسا، ولن يتمكن أيضًا من احتواء التبعات التي ستخلفها عودتهم على أمن الدولة[26]. يضاف إلى ذلك أن فرنسا اتخذت عددًا كبيرًا من الإجراءات، وأصدرت قرارات تتعلق بمعاقبة المشاركين في العمليات الإرهابية. ومن ذلك أنها أصدرت قرارًا شدّد عليه رئيس الوزراء الفرنسي فالس في أثناء إعلانه حكومته الثانية، يقضي بإسقاط الجنسية عن الجهاديين الفرنسيين العائدين من سورية وترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية[27].

ليست فرنسا أول من قرر طرد من يثبت تورطهم في العمليات القتالية في سورية أو سحب الجنسية منهم، بل سبقتها إلى ذلك بريطانيا التي صوَّت برلمانها لمصلحة قرار مماثل. لكن حين أقدمت في منتصف عام 2013 على ترحيل مواطن جزائري مقيم في فرنسا منذ عام 1980 بسبب الاشتباه في تورطه في

(25) منى علمي، «أدوارهم ثانوية وأغلبهم لا يملكون معرفة دينية معمقة أو اعتنقوا الإسلام أخيرًا: جهاديو فرنسا.. مهمشون ومراهقون وطبقة وسطى محبطة»، الاقتصادية، (الرياض) 9/ 11/ 2014، في:
https://www.aleqt.com/2014/11/09/article_904058.html.

(26) المرجع نفسه.

(27) الحبيب الميساوي، في: الشروق (تونس)، 14/ 6/ 2014.

تجنيد شبان إسلاميين فرنسيين كي يشاركوا في الحرب المستمرة في سورية، تكون قد وجّهت رسالة معلنة من شأنها أن تؤكد إصرارها على تنفيذ ما كانت أعلنته من إجراءات لتطويق ظاهرة الجهاديين الفرنسيين في سورية، التي تعود بقوة لتثير اهتمام الرأي العام الفرنسي الذي لم يتوان عن انتقاد الحكومة واتهامها بالتردد والتلكؤ في مواجهة هذا الخطر، وبعدم المبادرة لاستباق الحوادث وتطويق الظاهرة قبل تفاقمها وقبل أن تجرف معها عددًا من الشباب والمراهقين الفرنسيين إلى نهاية دموية[28].

في إطار ما تضمنته التشريعات القانونية في مواجهة الإرهاب والتطرف، يصف جيل دي كيرشوف، منسق الاتحاد الأوروبي لمكافحة الإرهاب، وتشارلز بريسارد، المتخصص بقضايا الإرهاب، البنود الثلاثة الأولى من التشريع الجديد لمكافحة الإرهاب بأنها تعزز بشكل كبير الترسانة القانونية الفرنسية. وبالنسبة إلى الآراء التي تؤيد المشروع وتعتبره إيجابيًا من حيث كونه يولد انسجامًا بين التشريع الفرنسي ونظيره في البلدان الأوروبية الأخرى، بما في ذلك المملكة المتحدة، تحدث كيرشوف عن ضرورة إيجاد توازن جيد بين متطلبات الأمن الداخلي واحترام الحريات الفردية، في حين يعتبر بريسارد أن النص هو «الضرورة القصوى» التي تحتاج فرنسا إليها نظرًا إلى تدفق المرشحين للجهاد بصورة متزايدة منذ عام 2012؛ إذ بلغت نسبة الزيادة

(28) لمزيد من التفصيلات، انظر: «الشرطة الفرنسية تعتقل ثمانية إسلاميين مشتبه بهم»، وكالة أنباء أونا، 4/ 4/ 2102، في:

http://onaeg.com/?p=43361.

75 في المئة. كما يؤكد خبراء مكافحة الإرهاب أهمية المادة 5 من مشروع القانون التي تجرّم «المؤسسة الإرهابية الفردية». طُبق هذا القانون بالفعل في المملكة المتحدة وألمانيا، وجاء نصه ليملأ فراغًا قانونيًا، ويسمح للأجهزة الأمنية والقضائية بتجريم «التطرف الذاتي» من خلال المواقع التي تدعو إلى ارتكاب أعمال إرهابية أو تقديم تقنيات لصنع المتفجرات. يحارب مشروع القانون هذا استغلال هذه الجماعات المتطرفة الإنترنت، حيث ينص على عقوبة تصل إلى السجن سبع سنوات لكل من ينشر رسائل جهادية، كما يمكّن من حجب بعض المواقع، وعددها 160 موقعًا أُعلنت في عام 2013، ويقدم مهلة 24 ساعة إفساحًا في المجال كي يزيل المحرر والمضيف المحتوى قبل أن يُحجب الموقع عنهما[29].

بعد أن تجاهلت فرنسا قضية الشباب الفرنسي الذي يقاتل في سورية، تعود فرنسا اليوم لتعلن سلسلة من الإجراءات الأمنية والقضائية من أجل تطويق الظاهرة وتفادي تداعياتها المحتملة على أمن مواطنيها، ما يعني أن فرنسا قررت الاقتداء ببريطانيا لجهة طرد كل من يثبت تورطه في القتال في أماكن النزاع في العالم وسحب الجنسية منه، بما يعني أن دولًا كثيرة، وبينها دول المغرب العربي التي لديها العدد الأكبر من الإسلامويين المتشددين، ربما تجد نفسها مضطرة إلى تحمّل أعباء هؤلاء بدلًا من فرنسا التي تحتضن أعدادًا كبيرة منهم[30].

(29) «فرنسا تناقش مشروع قانون لمكافحة الإرهاب».

(30) تتمتع فرنسا بخصوصية فريدة لاستضافتها أكبر جالية عربية في أوروبا (وبحسب مركز بيو للبحوث، فإنهم يمثلون 5.7 في المئة من عدد السكان)، ما يجعلها=

يتعامل القضاء الفرنسي مع المتورطين في الجهاد المتطرف من المقيمين على أراضيها حتى وإن كانوا يحملون الجنسية الفرنسية؛ إذ وجّه القضاء في منتصف حزيران/ يونيو 2014 تهمة إلى ثلاثة إسلاميين متطرفين فرنسيين عادوا من سورية، تتعلق بتشكيل عصابة أشرار بغرض التحضير لأعمال إرهابية، وأمر القاضي بإيداعهم السجن الاحترازي. من بين هؤلاء عبد الوهاب البغدادي، صهر الإسلامي المتشدد محمد مراح وعماد جبالي، صديق مراح منذ طفولته، وسبق أن حُكم عليه في فرنسا في قضية شبكة تجنيد مقاتلين إسلاميين متطرفين لإرسالهم إلى العراق في عام 2009، والثالث من أصول بلقانية(31).

تحاول فرنسا في عهد فرانسوا هولاند أن تتخذ الإجراءات الكفيلة ردع الذين يجذبهم الجهاد، ومنعهم ومعاقبتهم، عشية طرح خطة لمعالجة مشكلة الفرنسيين الذين توجهوا إلى القتال، وستنشر ترسانة كاملة وتستخدم جميع التكنولوجيات، بما في ذلك تكنولوجيا الأمن الإلكتروني، من أجل مكافحة هذه الظاهرة(32).

= فائقة الحساسية تجاه أي تطور سياسي أو دبلوماسي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، والعالم العربي بشكل عام. وزادت هذه الحساسيةَ عولمةُ الاتصالات من خلال الإنترنت والقنوات الفضائية، لذلك اعتبرت فرنسا بروز الحركات الإسلامية مشكلة خطِرة بالنسبة إلى استقرار مجتمعها.

لمزيد من المعلومات، انظر: **الحكومات الغربية والإسلام السياسي بعد عام 2001** (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2014)، ص 272، في:
https://goo.gl/EkAMJT.

(31) «فضيحة في فرنسا بعد عودة ثلاثة جهاديين مفترضين من دون أن يتم توقيفهم»، **جازان نيوز**، 29/ 11/ 2014.

(32) «باريس: ستتخذ كل التدابير لردع الجهاديين»، **السفير**، 23/ 4/ 2014.

أمّا وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس فيرى أن ذهاب فرنسيين إلى الجهاد ليس بـالأمر الجديد، لكن هناك فوارق لأن عددهم يزداد وهم أصغر سنًا مقارنة بالناشطين الأوروبيين[33]، في حين طالب السياسي الفرنسي المعروف نيكولا دوبون - إينان، مؤسس حزب يميني وعضو في اتحاد الشعبية، الحكومة الفرنسية ضرورة إعادة فتح «جزيرة الشيطان» سجنًا للجهاديين العائدين إلى أوروبا بعد مشاركتهم في القتال في الخارج.

اقترح مرشح سابق لرئاسة الجمهورية الفرنسية في عام 2012 أن تكون المستعمرة الفرنسية السابقة في أميركا الجنوبية أنسب مكان لمن وصفهم بـ «المجانين» الذين حاربوا مع الجماعات المتطرفة كتنظيمي «داعش» و«القاعدة». كما اعترف دوبون - إينان بأن هذا الاقتراح سيسبب ضجة في الأوساط الفرنسية على الرغم من توقعه أن يحصل على تأييد كبير[34].

شددت فرنسا، على لسان وزيرة العدل الفرنسية كريستيان توبيرا، على وجوب محاربة الأقوال أو التصرفات العنصرية الطابع أو المعادية للسامية، أو تلك التي تدافع عن الإرهاب، والتعامل معها بأقصى درجات الحزم. وفي مذكرة قدمتها إلى الحكومة الفرنسية ووجهتها إلى جميع نيابات فرنسا، رأت أن المخالفات المرتكَبة في إثر الاعتداءات التي استهدفت مقر أسبوعية شارلي

(33) «هولاند: فرنسا ستردع الجهاديين»، صحيفة عمان، 28/ 12/ 2014.

(34) منيرة الجمل، «سياسي فرنسي يطالب الحكومة بفتح «جزيرة الشيطان» لسجن الجهاديين»، الحوار المتمدن، 30/ 11/ 2014، في:
http://www.ahewar.org/news/s.asp?nid=1878247.

إيبدو الساخرة في 7 كانون الثاني/ يناير 2015 في باريس تُسيء إلى اللُّحمة الوطنية، وتستحق اهتمامًا خاصًا وحزمًا شديدًا.

إضافة إلى حظر تمجيد الإرهاب والأعمال العنصرية أو المعادية للسامية، استهدف النص أيضًا التصريحات أو التصرفات التي يمكن أن تسبب تصرفات حاقدة وعنيفة وتمييزية، أو تستهدف قوات الأمن.

زاد من قلق فرنسا منذ أواخر عام 2014 ومطلع عام 2015، ولا سيما بعد الاعتداء على صحيفة شارلي إيبدو، الازدياد المطَّرد للهجمات على أماكن العبادة، والاعتداءات على الأملاك أو الأفراد بسبب ديانتهم، وأعمال العنف أو التهديدات والتصريحات العنصرية والتمييزية أو التي تشيد بالإرهاب.

منذ 7 كانون الثاني/ يناير 2015، فتح 54 تحقيقًا قضائيًا بتهمة تمجيد الإرهاب وتهديدات بأعمال إرهابية، بحسب وزارة العدل الفرنسية، وذلك بعدما قال ديودونيه[35]: «أشعر بأنني شارلي كوليبالي»، مازجًا بين اسم «الإسلاموي المتطرف» الذي قتل شرطية وأربعة يهود في تلك الهجمات، وشعار «أنا شارلي» الذي رفعه ملايين المتظاهرين في فرنسا والعالم ضد الإرهاب في أعقاب حادثة الاعتداء المشار إليها[36].

---

(35) ممثل فرنسي ساخر، ولد لأب مهاجر من الكاميرون وأم فرنسية. مُنعت عروضه في فرنسا بحجة معاداتها السامية.

(36) لمزيد من المعلومات، انظر: «تجريم تمجيد الإرهاب من الإجراءات الجديدة في فرنسا»، روسيا اليوم، 22/ 1/ 2016، في:

http://arabic.rt.com/news/770759.

على الرغم من هذه التشريعات القانونية والإجراءات التي اتخذتها فرنسا، تثار شكوك كثيرة في شأن جدية إجراءات الحكومة الفرنسية وقراراتها؛ إذ أثارت عودة ثلاثة فرنسيين يُشتبه في أنهم إسلامويون متطرفون إلى فرنسا بعد عبورهم الحدود من دون أي عائق، في حين كان يفترض أن توقفهم الشرطة، انتقادات المعارضة وساهمت في إحراج الحكومة الفرنسية(37)، ووصل الأشخاص الثلاثة، وهم مقربون من محمد مراح، إلى مرسيليا جنوب فرنسا أولًا، آتين من تركيا في طريق عودتهم من سورية، ثم توجهوا إلى باريس حيث كانت الشرطة تنتظرهم(38).

---

(37) صرّح وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لو دريان: «هناك فوضى، لكن هذا يعود إلى الصعوبات بسبب غياب تعاون جيد مع الأجهزة التركية»، في حين قال وزير الداخلية كازنوف: «هذا الخلل في التعاون بين الأجهزة التركية والأجهزة الفرنسية يستحق تشاورًا معمقًا بين السلطات الفرنسية والسلطات التركية كي لا يتكرر مثل هذه الحوادث في المستقبل». وفي شأن المشكلة الفرنسية - التركية، بررت الحكومة الفرنسية ذلك بعطل طرأ على نظام قراءة بيانات جوازات السفر في مرسيليا، في حين انتقدت المعارضة اليمينية واليمينية المتطرفة قضية الجهاديين الفرنسيين الثلاثة ووصفتها بأنها «خطأ لا يغتفر». وقال النائب اليميني كريستيان استروسي إن «هؤلاء الأشخاص الثلاثة يذلوننا وأصبحنا أضحوكة أمام العالم. هذه الحكومة غير كفؤة». أمّا الجبهة الوطنية (يمين متطرف)، فانتقدت « افتقار الحكومة إلى المهنية». وخرجت صحيفة لوموند بعنوان واسع يقول: «الهفوة غير المعقولة بعدم توقيف الجهاديين الفرنسيين الثلاثة». والمفاجأة الجديدة هي إعلان محاميهم أنهم «في مكان ما» في فرنسا، وأنهم فوجئوا بعدم اعتقالهم لدى وصولهم إلى فرنسا.

في شأن التفصيلات، انظر: «فضيحة في فرنسا بعد عودة ثلاثة جهاديين».

(38) انظر: المرجع نفسه.

فضلًا عن ذلك، فإن حكاية الفتاة ماتيلد التي التحقت بزوجها المقاتل في سورية، وهي في السابعة عشرة، حركت سواكن الرأي العام بعد انتشار أخبارها=

في بداية عام 2015، وبعد هجمات عدة، سادت فرنسا حال من القلق. حينها عنونت صحيفة لوباريزيان الشعبية «خوف على

= انطلاقًا من مدينة نوازي لوغران إلى جميع أنحاء فرنسا، بعد أن أفردت لها الصحافة الفرنسية تغطية شاملة، خصوصًا أن عائلة الفتاة أبلغت الشرطة معلومات عن سلوك الفتاة الغريب من دون نتيجة تذكر، ما جعل الانتقادات تستهدف حكومة فالس، وزير الداخلية السابق، وتحمّلها المسؤولية لأنها لم تحرك ساكنًا لمواجهة الخطر الزاحف، ولم تبدأ التحرك الفعلي إلا بعد ارتفاع أصوات العائلات المعنية للمطالبة بوقفة جدية وعاجلة للحيلولة دون زحف الظاهرة بين صفوف الشباب الفرنسيين.

للتفصيلات، انظر أيضًا: العتروس.

حادثة أخرى وقعت في أيلول/ سبتمبر 2013، عندما امتلك أبو أحمد، الناشط الجهادي الفرنسي من أصل عربي، الخوفُ والذعر في أثناء التدقيق في أوراق رحلته عند مغادرة الرحلة المباشرة من باريس إلى اسطنبول؛ ففي نقطة المراقبة في مطار أورلي، تغيرت ملامح وجه الشرطي بعد أن مرر جواز السفر على جهاز المسح الضوئي. بحركة يد من الشرطي، وبقلق واضح، أدار شاشة الحاسبة إلى زميل له ومن ثم أمر المسافرَ المشتبه به وزوجته بأن يتركا الفتاة في الانتظار والوقوف جانبًا. الفرنسي من أصل جزائري ذو الستة وعشرين عامًا، والطالب السابق في جامعة آسا، بدا مقتنعًا بأن نهاية رحلته بدأت فعلًا». قلت لنفسي انتهى كل شيء، يا للسخف، ستكون نهايتي في السجن. قلبي ينبض خوفًا من عدم تمكني من الانضمام إلى إخواني الصادقين في الشام بعد أن تخلص من الملل من معاشرة المدمنين في فلوري». الشاب الأكثر شهرة في فرنسا، أحد جهاديي الفضاء السيبيري، فهِم أنه وقع في قبضة الشرطة، استغرق انتظاره نصف ساعة قبل أن يعود إليه موظف الجوازات مبتسمًا ومستفسرًا عن سبب سفره إلى تركيا، ليجيبه أحمد بأنه يرغب هو وعائلته في زيارة المسجد الأزرق في اسطنبول. وعلى ما يبدو، اقتنع الشرطي بجوابه، وأعاد إليه جواز سفره. يقول أحمد: «نظر إلي مع ابتسامة عريضة قائلًا 'سفرة سعيدة'». على الرغم من ذلك، كان أبو أحمد وزوجته والفتاة التي بصحبتهما مرتبكين، لكنهم انضموا إلى الواقفين في طابور المغادرة مع شعور واضح بأن «السلطات الفرنسية من خلال تعاملها معنا بهذه الطريقة، يعني تقول لنا 'اذهبوا إلى بئس المصير!' أشعر أن الخدمات الأمنية السرية تفضل التخلص مني ومن مئات من العناصر من الإخوة الآخرين في فرنسا لأنهم يمثلون خطرًا حقيقيًا عليهم. إنهم يفضلون التخلص منا بهدف أن نموت من أجل قضيتنا في سورية بدلًا من أن يتركونا في فرنسا نقوم بهجوم مريع في الشانزليزيه». =

الميلاد»[39]، فيما اتهمت صحيفة لوفيغارو القريبة من المعارضة اليمينية الحكومة بعدم تقدير حجم الإسلام المتطرف في فرنسا[40].

بشكل عام، تبقى هذه التشريعات والإجراءات غير قادرة على وقف تنامي تدفق الناشطين الإسلامويين إلى أماكن النزاع في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بسبب عدم نفاذ الجزء الأكبر منها إلى حيز التطبيق، وغياب الجدية في تفعيلها، وعدم صرامتها، وهذا ما أفصح عنه تنامي الزيادة العددية للمتطرفين عامًا بعد آخر.

2- مواجهة مخاطر عودة الإسلامويين المتطرفين إلى فرنسا

بعدما تبين لنا أن تهديد الجماعات الإرهابية فرنسا وحلفاءها

=يردف أبو أحمد في مقابلة معه أجراها الصحافي تومسون في تشرين الثاني/ نوفمبر 2011: «لأنه ببساطة يحتاج الأمر إلى عشرة من الأخوة المندفعين لتنفيذ هجوم على الشانزليزيه، وفي تروكادير، وفي شانزليزيه دي مارس، في الوقت نفسه، ليومين متتاليين». للمزيد من التفصيلات، انظر:

Thomson, pp. 202-213.

(39) في 20/ 12/ 2014 هاجم رجل عناصر شرطة بسكين وهو يردد «الله أكبر» في جويه ليه تور (وسط غرب فرنسا) قبل أن تقتله قوات الأمن، وأصيب في الهجوم أيضًا ثلاثة شرطيين بجروح. وفي إثر هذه الهجمة وغيرها من الهجمات، سادت حالة من القلق في البلد. وعنونت صحيفة لوباريزيان الشعبية «خوف على الميلاد»، فيما اتهمت صحيفة لوفيغارو القريبة من المعارضة اليمينية الحكومة بـ «عدم تقدير حجم الإسلام المتطرف في فرنسا».

انظر التفصيلات في: «تعزيزات عسكرية إضافية لمواجهة «الإرهاب» في فرنسا»، الحياة، 23/ 12/ 2014.

(40) «فرنسا تستنفر أمنيًا وتنشر 300 عسكري إضافي...»، وكالة فرانس برس، 23/ 12/ 2014، في:

https://mail.google.com/mail/#inbox/14a83591b13d999a.

يتمثّل في اتّباعها سياسة تجنيد المقاتلين الأجانب ودعايتها الموجهّة نحو مجموعات إرهابية أجنبية، فضلًا عن إطلاق دعوات تهدد فرنسا ورعاياها عبر العالم، فإن مخاوف فرنسا من تداعيات عودة المقاتلين الجهاديين المتطرفين من مناطق النزاع في الشرق الأوسط إلى فرنسا هي ما يشغل بال الحكومة الفرنسية وأغلبية الشعب الفرنسي. وللسلطات الفرنسية كل الحق في خشيتها عودتهم، لكن من الصعب السيطرة على ذلك بشكل عاجل. ففي وقت مبكر من عام 2014، تم تحديد عودة نحو 70 شخصًا، مر كثيرون منهم من دون أن يُلاحَظوا! لكن عددًا آخر وقع في قبضة العدالة وواجه عقوبة السجن تصل إلى عشر سنوات بتهمة التجمع لإعداد أعمال إرهابية.

في هذا الصدد، وبعد أن كثرت أسماء الجهاديين الذين غادروا الدولة الفرنسية متوجهين إلى القتال في العراق وسورية مع مختلف المجموعات المتطرفة التي تحارب هناك، وفي مقدمها «داعش» وجبهة «النصرة»، لم تخفِ وكالات الاستخبارات قلقها المتزايد من ظاهرة الجهاديين المتطرفين، خصوصًا العواقب التي ستخلفها هذه الظاهرة بعد عودتهم إلى بلدانهم. وهكذا، يمثل انتشار الفكر الإسلامي المتطرف في صفوف الشباب، ورحيل عدد منهم للقتال في صفوف تنظيمات إرهابية، ثم عودتهم إلى أوروبا، عوامل تطلق العنان لمقولات وتيارات فكرية وسياسية تتحدث عن استيراد الإرهاب بسبب المهاجرين الوافدين من بلدان تلك المناطق، خصوصًا أن هناك من أسس نظريًا لهذه الأفكار بالحديث عن صراع الحضارات بين الغرب المتقدم المسيحي اليهودي والشرق المتخلف المسلم. قال أحد أعضاء

البرلمان الفرنسي في أواخر عام 2014 إن نحو 100 متشدد ممن قاتلوا ضمن التنظيمات المعارضة في العراق وسورية عادوا إلى فرنسا، ويحتاج هذا الأمر إلى موارد هائلة للمراقبة واتخاذ تدابير أمنية أخرى لمنع وقوع هجمات. وغادر آلاف المتطوعين الغربيين إلى هذين البلدين للانضمام إلى الجماعات الإرهابية، في وقت أثار فيه هذا النزوح مخاوف في أوروبا والولايات المتحدة من تنفيذ الجهاديين العائدين هجمات إرهابية[41].

في هذا الشأن، عند تتبّع الأسباب التي تدفع الجهاديين إلى العودة إلى فرنسا، نجدها ملخصة في ثلاثة: أولها، عدم القدرة على مواجهة الحرب والتحول الظاهري إلى أهوال حقيقية؛ ثانيها، نقص المال الذي يدفعهم إلى الرجوع الموقت؛ ثالثها، احتمال تنفيذ مهمة عسكرية على طريقة محمد مراح. فمنذ تجاوز عدد مقاتلي كتيبة المجاهدين الفرنسية في سورية 300 مقاتل، أصبح واقعيًا التفكير في احتمال محاولة بعضهم العودة إلى تنفيذ أعمال إرهابية في فرنسا، سواء أنجحت أم لم تنجح، فالتهديد يواجه فرنسا مباشرةً[42].

علاوة على ذلك، وخلافًا لتنظيم «القاعدة» الذي يعتبر ضرب الغرب هدفه الأساس، نيات «داعش» محلية في المقام الأول. ويعترف خبير شؤون الإرهاب بريسارد بصحة أن الجهاد الذي

(41) «جهاديو الغرب: ظاهرة مستوردة أم محلية؟»، إذاعة مونت كارلو الدولية، 23/ 10/ 2014، في:

http://www.mc-doualiya.com/chronicles/decryptage-mcd.

(42) Thomson, p. 228.

تنادي به «داعش» إقليمي، لكن مع وجود مقاتلين أجانب داخلها، فإن لهذا التنظيم قدرة هائلة على مهاجمة الغرب إذا قرر ذلك. «ويُذكِّر بأنه في الماضي انخرط الجهاديون العائدون إلى أوروبا في ما نسبته 50 في المئة من العمليات الإرهابية، في حين يرى وسيم نصر، الصحافي المتخصص بالجماعات الجهادية، أن الدولة الإسلامية لا تملك في الوقت الراهن الموارد اللوجستية والتقنية الكافية لتصل إلى أوروبا بشكل فاعل. مع ذلك، تُذكِّر حالة مهدي نموش بالخطر الذي يمثله الجهاديون عند عودتهم إلى أوروبا»[43].

يشير باتريك كوكبيرن في كتابه **عودة الجهاد** *(Le retour du Djihad)* إلى ميول المقاتلين الأجانب الذين دخلوا منطقة الشرق الأوسط في العودة إلى ارتكاب أعمال إرهابية في الدول الغربية ورغباتهم، خصوصًا في الأوروبية منها، بالقول: «... بعد أن تكلمت في بداية هذا العام مع مجموعة من المقاتلين السوريين الذين لا ينتمون مباشرة إلى القاعدة في جنوب شرق تركيا، أخبرني أحد المصادر أنهم أظهروا جميعهم من دون استثناء الحماسة والاستحسان لحوادث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، وتمّنوا لو أن الشيء نفسه يحصل في أوروبا كما حصل في الولايات المتحدة»[44].

تُعَد فرنسا أكبر مصدر للمتطوعين الغربيين لحركات الجهاد

(43) *Le Point*, 10/9/2014.

(44) Patrick Cockburn, *Le Retour des Djihadistes: Aux racines de l'État Islamique*, Traduction de Adrien Jaulmes (Paris: Equateurs documents, 2015), p. 54.

الإسلامي في المنطقة؛ فبحسب النائب الاشتراكي الفرنسي سيباستيان بيتراسانتا، غادر نحو 1000 جهادي متطوع فرنسا، وعاد منهم نحو 100، وهم الآن في فرنسا. أودع بعضهم السجن وما زال بعضهم الآخر رهن الملاحظة القضائية. قال: «نملك أدلة مادية تبين أن عددًا من الذين عادوا من سورية كان يمكن أن يشنوا هجمات، وتجري مراقبة المقاتلين العائدين على نطاق هائل. لكن، عندما تدرك أن الأمر يحتاج إلى 20 عنصر أمن من أجل مراقبة شخص واحد، فإن ذلك يعطيك الإحساس بالتحدي الذي تواجهه أجهزتنا الأمنية»[45].

لعل عودة الجهاديين الفرنسيين من سورية بعد تلقيهم التدريب العسكري تؤجج المخاوف من تكرار قضية محمد مراح الذي هدد الأمن في فرنسا منذ سنوات. وما يزيد في حجم هذه المخاوف هو ما قام به شاب فرنسي آخر من أصل جزائري في آذار/ مارس 2012 عندما شنّ هجومًا عنيفًا في مدينة تولوز الفرنسية قبل أن تقتله الشرطة الفرنسية بعد مواجهة استمرت يومين. وهو تحوّل من مجرم عادي إلى ناشط جهادي عنيف بعد تلقيه التدريب في باكستان[46].

يرى خبير شؤون الإرهاب بريسارد أن «المهم هو استجواب هؤلاء الناس بمجرد التعبير عن رغبتهم في السفر إلى سورية، ذلك أن اتخاذ الإجراءات حين عودتهم إلى فرنسا سيكون الأوان

(45) «قلق فرنسا من عودة الجهاديين إليها من سورية والعراق: باريس تشدد الرقابة على المتطوعين الجهاديين وتقيد تحركات العائدين منهم مع إمكانية تجريدهم من جوازات السفر»، وكالة فرانس برس، 13/ 12/ 2014.

(46) علمي.

قد فات، باعتبار أنهم تلقوا تدريبًا على الأسلحة والمتفجرات التي من الممكن استخدامها ضدنا»[47].

لعل من العوامل المساهمة في الأثر المدمر للمقاتلين العائدين من الحرب، مقارنةً بتنامي الجماعات القتالية في تشددها بعد الحرب الأفغانية وأعمال العنف التي وقعت في التسعينيات، إمكان أن يكون الخارجون من مناطق النزاع في العراق وسورية أسوأ كثيرًا، وتعود هذه العوامل المساهمة إلى مسألتين: **الأولى**، توافر الشبكات الناضجة، إذ لا يتم إنشاء هذه الشبكات الأجنبية المقاتلة من لا شيء، ولا يحتاج الأفراد إلى تأسيس حركات ناشئة إبّان عودتهم إلى ديارهم، نظرًا إلى وجود الكثير من هذه الحركات القائمة أصلًا، ولا سيما في دول أوروبا الغربية، وفي مقدمها فرنسا؛ **والثانية**، غياب الأطر القانونية، فما زال بعض الحكومات، خصوصًا في شمال أوروبا، حديث العهد في إطار التعامل مع مشكلة الجهاديين العائدين إلى البلد. نتيجة ذلك، يوجد عدد قليل أو محدود من الموانع القانونية لردع أو معاقبة الأفراد الذي يلتحقون بالكيانات الإرهابية، وهذا ما يمنحهم القدرة على التجنيد لمعتقداتهم أو الإرشاد إليها بحريّة عند عودتهم إلى بلدانهم استنادًا إلى رواياتهم الحربية الجديدة[48]. لذا، يتركز أبرز مخاوف الجانب الأوروبي على كيفية التعامل مع المقاتلين العائدين من الشرق الأوسط، ومخاطر وجود تنظيم «القاعدة» على أبواب أوروبا[49].

---

(47) *Le Point*, 10/9/2014.

(48) Zelin.

(49) العتروس.

في هذا الشأن، يتساءل الكاتب الفرنسي فيغنو: «كيف أصبح بلدنا، في شهور قليلة، المصنع الأكبر للمجاهدين المتجهين إلى العراق وسورية؟ السبب الأول كمّي، إذ بلغ عدد المسلمين في فرنسا أكثر من أربعة ملايين[50]، وحلّ الإسلام في المرتبة الثانية بين الأديان الموجودة. كذلك، تقود ممارسة الشعائر الإسلامية إلى التطرّف الذي يؤسس إلى مخاطر حقيقية». في هذا السياق، عبّر وزير الداخلية الفرنسي عن خشيته من عودة عدد من الجهاديين، رافضين قيم الغرب، وينوون ارتكاب هجمات واسعة النطاق على الأراضي الفرنسية؛ إنهم إرهابيون محتملون، وتبعًا لجهاز خدمات مكافحة الإرهاب الفرنسية: «الجميع مهيَّأ للقتل، باسم الجهاد»[51]، في حين يؤكد المفكر الفرنسي جيل كيبل أن الخطر يأتي من ظهور ساحة المعركة الأساس للجهاد، تحت رعاية «داعش»، على بُعد ساعات فقط جوًا انطلاقًا من باريس أو بروكسل أو لندن، التي يقصدها الجهاديون الشباب، على متن

(50) يُعتبر هذا العدد تقديريًا، غير رسمي، ذلك أن القانون الفرنسي لا يسمح مطلقًا بتعداد السكان وفق انتماءاتهم العرقية أو الدينية، أو مذاهبهم الفلسفية، أو اتجاهاتهم السياسية. لهذا، لا تملك أي جهة من الجهات الرسمية أو غير الرسمية إحصاءً دقيقًا يُعتدّ به رسميًا. وما هذه الأرقام المقدَّمة إلا إحصاءات تقديرية ينشرها اختصاصيون وملاحظون مطّلعون. ففي عام 2003، أعلن نيكولا ساركوزي، وكان وزيرًا للداخلية آنذاك، أن عدد المسلمين في فرنسا تراوح بين 5 إلى 6 ملايين نسمة، فأصبح هذا الرقم شبه الرسمي مُجمَعًا عليه حتى يومنا هذا، إذ يناهز المسلمون وفقًا لهذا العدد نسبة 8 في المئة من عدد سكان فرنسا.

انظر: «الإسلام في فرنسا»، ويكيبيديا، شوهد في: 23/ 1/ 2016، في:
https://goo.gl/t8lo0G.

(51) François Vignolle et Azzedine Ahmed-Chaouch, *La France du Djihad* (Paris: Editions du moment, 2014), pp. 11-15.

خطوط جوية مخفّضة الأسعار، بهدف التدرّب قبل أن يُزرَعوا من جديد في مجتمعاتهم الأوروبية[52].

من ناحية أخرى، أثار استطلاع للرأي أجراه مركز متخصص في فرنسا ودول أوروبية لحساب قناة تلفزيونية أجنبية - بعد أن أظهر أن 15 في المئة من الفرنسيين[53] يحملون رأيًا إيجابيًا تجاه من يسمَّون «الجهاديين» الذين يقاتلون في صفوف «داعش» - جدلًا كبيرًا في وسائل الإعلام الفرنسية. ويُظهر الاستطلاع الذي أجري على عينة عشوائية من 1000 شخص في ثلاث دول أوروبية أن عند 15 في المئة من الفرنسيين رأيًا إيجابيًا تجاه المنضمين إلى القتال مع «داعش» في مقابل 7 في المئة في بريطانيا و2 في المئة في ألمانيا. وشكلت الفئة العمرية بين

(52) جيل كيبل، «الجيل الثالث من الجهاديين»، النهار (بيروت)، 10/3/2015.

(53) غير أن يوري روبينسكي، الباحث الفرنسي في المعهد الأوروبي، يقلل من أهمية هذه النسبة حين يقول: «يلاحَظ بوضوح وجود عدد مهم من المهاجرين الذين ينحدرون من البلدان المسلمة في فرنسا، حيث إن عددهم هو الأكبر في البلدان الأوروبية. منذ وقت طويل، قطع كثير من أبناء الجيل الصاعد علاقاتهم مع البلد الذي ينحدر منه أهلهم، لكنهم اختاروا التعبير عن تضامنهم مع الإسلاميين المتطرفين كمظهر احتجاج»، ويضيف: «تشير نتيجة هذا الاستفتاء أيضًا إلى معدل السخط المتنامي بين الفرنسيين، وهذا يشكل ببساطة تعبيرًا عن رفض النظام الموجود في فرنسا برمته؛ إنها طريقة احتجاج ورفض للنخب ليس إلا». (محمد واموسين مصدر سابق). مع ذلك، ومن وجهة نظرنا، تبقى هذه النسبة غير دقيقة، ذلك أن أكثر التقديرات صدقية يشير إلى أن عدد المسلمين في فرنسا يراوح ما بين 5 إلى 6 ملايين نسمة، أي ما نسبته 8 في المئة من عدد سكان فرنسا، فكيف تكون نسبة المسلمين المؤيدين للإسلاموية المتطرفة 15 في المئة من الفرنسيين، وفي الأغلب، إن هذه النسبة مستقاة من بين الفرنسيين المسلمين فحسب لا من بين مجموع السكان الفرنسيين ككل.

18 و24 سنة نسبة 27 في المئة من المستطلَعة آراؤهم، ما يعني في رأي الخبراء الذين استشيروا في إطار الدراسة وجود علاقة مباشرة بين هذه النتيجة وعدد المهاجرين من البلدان العربية، خصوصًا الشرق الأوسط، إلى البلدان الثلاثة التي جرى فيها الاستفتاء.

يعطي هذا الاستبيان انطباعًا عن وجود حواضن في فرنسا، من المحتمل أن تستقبل الإسلامويين المتطرفين العائدين من منطقة الشرق الأوسط ليشكّلوا خطرًا محدقًا على أمن الأراضي الفرنسية في المستقبل. فهؤلاء غادروا فرنسا بعد أن تشبّعوا بالأفكار المتطرفة عن الإسلام والجهاد، وشاركوا في القتال بعدما حصلوا على تدريبات مكثّفة وقاسية، ليكونوا قنابل موقوتة داخل الغرب وأوروبا بصورة عامة، وفرنسا بصورة خاصة.

يبقى السؤال المطروح، سواء أتعلق الأمر بفرنسا أم بغيرها من الدول التي وجدت نفسها أمام خطر المقاتلين العائدين بعد أن تشبّعوا بالقدرات القتالية والأفكار الجهادية: هل يمكن الخطط الأمنية وحدها وقف النزيف وإبعاد الخطر؟ لا شك في أن الجواب سلبي. فالسلطات الأمنية الفرنسية، كما غيرها، لم تستشعر خطر المقاتلين في سورية إلا مع تواتر التقارير عن تداعيات عودة هؤلاء إلى المجتمعات التي انبثقوا منها[54]، في وقت تشير فيه المعلومات إلى أن العائدين من ساحات القتال سيكونون قنابل موقوتة محتملة الانفجار في وجه الغرب وأوروبا، والباقي ما هو إلا مسألة وقت. وأصبح التساؤل المطروح بقوة في

(54) انظر: العتروس.

الدوائر الأوروبية عمومًا والفرنسية خصوصًا: «متى يضرب هؤلاء الجهاديون في أوروبا؟»[55].

خلاصة القول، نجد من بين المسائل المهمة التي ينبغي الإشارة إليها هنا أن مخاطر هذه الجماعات الإرهابية تتمثل في عودتها من أماكن القتال الحالية، وتنامي تشددها بعد الحرب الأفغانية وأعمال العنف التي وقعت في تسعينيات القرن الماضي، لكن ثمة إمكان أن يكون هؤلاء أسوأ كثيرًا. ولعل العوامل المساهمة في ذلك هي وجود الشبكات الناضجة، وغياب الأطر القانونية التي تمنع عودتهم إلى بلدانهم التي جاءوا منها، إذ لا يزال بعض الحكومات في شمال أوروبا حديث العهد في إطار التعامل مع هذه المشكلة، في حين يوجد عدد قليل أو محدود من الإجراءات القانونية لردع أو معاقبة الأفراد الذين يلتحقون بالجماعات الإرهابية، أو يعودون إلى بلدانهم بعد مشاركاتهم القتالية، وهذا ما يمنحهم القدرة على التجنيد والإرشاد باتجاه تنفيذ أهدافهم بحرّية وسهولة.

رابعًا: الاستراتيجيا الفرنسية في مواجهة تنظيم داعش الإرهابي المتطرف

بغية وضع استراتيجيا طويلة الأمد لمكافحة معضلة المقاتلين الأجانب واحتمال عودتهم التي يمكن أن تؤدي إلى أعمال إرهابية عنيفة في الداخل، اتخذت فرنسا التدابير الآتية:

(55) كمال حبيب، «حدود فاعلية التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب»، السياسية الدولية، العدد 199، كانون الثاني/ يناير 2015، ص 101.

- اعتماد خطة لمحاربة التطرف العنيف والشبكات الإرهابية منذ آذار/ مارس 2014.

- اعتماد البرلمان ومجلس الشيوخ الفرنسي مشروع قانون في شأن مكافحة الإرهاب منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2014، متضمنًا اتخاذ تدابير تشمل المنع الإداري من مغادرة التراب الفرنسي، ومنع تمجيد الإرهاب، وتوسيع مفهوم الإرهاب ليشمل الأعمال الإرهابية المنعزلة.

- المشاركة في التحالف الدولي لمحاربة تنظيم «داعش»، من خلال مساعدة المقاتلين العراقيين في محاربتهم تنظيم داعش بالغارات الجوية وتوفير التجهيزات العسكرية والتدريب، فضلًا عن محاربة تدفق المقاتلين الإرهابيين الأجانب إلى سورية والعراق بالتدخل العسكري في العراق في إطار التحالف الدولي، ومساندة الجيش العراقي والقوات الكردية (البشمركة) في الحرب ضد التنظيم الإرهابي، ومنع انتفاع تنظيم «داعش» بموارده المالية، ومساعدة اللاجئين والنازحين بسبب «داعش»، ولا سيما على الصعيد الإنساني، والتنسيق مع الشركاء كلهم من أجل التعريف بالوجه الحقيقي لطبيعة تنظيم «داعش».

- رفض فرنسا في خطاباتها وتوجهاتها السياسية الخلط بين الإسلام و«داعش»؛ إذ تعتبر هذا التنظيم تنظيمًا إرهابيًا، كما «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي»، فمذهبه مذهب إجرامي، وخطابه الديني مجرد واجهة وخدعة[56].

(56) لمزيد من المعلومات، انظر: «ماذا تفعل فرنسا ضد داعش؟»، موقع وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية: 17/ 1/ 2015، في:

https://goo.gl/w8LpDC.

خاتمة

في نهاية الأمر، ينبغي معالجة الأسباب التي تقود إلى صناعة الإرهاب وتناميه وكشف منابع إدامته وتصديره، للقضاء على الإرهاب المتنامي في العالم بصورة عامة ومنطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة. فضلًا عن ذلك، ليست مهمة وقف تمدد وازدياد انتشار «الإسلاموية المتطرفة» والأصولية الناشئة في الغرب مهمة جهة واحدة، إنما هي مهمة إنسانية ينبغي أن يتكاتف العالم أجمع لإنجازها. ولعل الخيار الأمثل لوقفها هو التوجه نحو الإسلام المعتدل، والعمل على توعية الشباب المسلمين بشكل يحميه من الوقوع في أتون التطرف والتورط في الإرهاب، كما حدث للإسلامويين الغربيين، ومن بينهم الفرنسيون الذين دفعتهم الأفكار المتطرفة إلى الوقوع في «فخ التطرف»، ومن ثم الانزلاق نحو المشاركة في القتال في بقاع متعددة من العالم، ولا سيما في العراق وسورية.

يقود الصراع في الشرق الأوسط إلى تنامي تعبئة المقاتلين الأجانب يومًا بعد يوم، على نحو مماثل لما حدث في أفغانستان في الثمانينيات من القرن الماضي، لكن على نطاق أوسع كثيرًا. لعل الطبيعة المتطورة لشبكات الجماعات المتطرفة، وازدياد عدد

الأفراد المتورطين في نشاطها، يشيران إلى أن الجيل الجديد من الجهاديين المتمرسين في المعارك سيحاول الإخلال بالاستقرار وممارسة التخريب والتخطيط لاعتداءات إرهابية، سواء أكانت في بلدان عربية أم في بلدان أوروبية. ولا يمكن التنبؤ بالإطار الزمني لاستمرار فاعلية هذا النشاط أو انحسارها، غير أنها تبقى بالتأكيد مثيرة للقلق بالنسبة إلى صانعي القرار والعامة من الناس على حد سواء[1].

حتى يستقر الوضع في الشرق الأوسط الذي سيكون مكان اختبار لـ «نظرية السلام الديمقراطي»، ينبغي أن يكون يخيم سلام حقيقي على دول الشرق الأوسط تكفله سيادة القانون والعدالة الاجتماعية اللذين يؤدي اعتمادهما إلى انحسار مدّ التطرف الإسلاموي وتضييق رقعته، فضلًا عن الأسباب الاستراتيجية الأخرى الملحة والكبيرة التي تؤثر في القضاء على التطرف، وتعمل على تحويل العناصر الإسلاموية ضمن النخبة السياسية من متطرفين إلى سياسيين غير عنيفين، بتفعيل عملية التناغم والتوافق بين مبادئ الإسلام والديمقراطية الحديثة معًا.

من وجهة نظرنا، ينبغي مكافحة التمرد والإرهاب اللذين تديرهما الإسلاموية المتطرفة في تجلياتهما الكثيرة، من خلال اعتماد «أنموذج ثومبسون» الذي يلقى احترامًا واسعًا ويحتذى به قالبًا لممارسة مكافحة التمرد الأكثر حداثة خصوصًا في التجربة البريطانية

(1) Aaron Y. Zelin, «Sunni Foreign Fighters in Syria: Background, Facilitating Factors, and Select Responses», *The Washington Institute* (May 2014), in: https://goo.gl/fOkPGt.

خلال عقود مضت؛ إذ كتب ثومبسون هزيمة التمرد الشيوعي[2] (Defeating Communist Isurgencies) في عام 1966، معتبرًا أن أي محاولة ناجحة لمكافحة التمرد والإرهاب يجب أن تكون سباقة في الاستيلاء على زمام المبادرة من المتمردين والإرهابيين[3].

للأنموذج خمسة مبادئ جوهرية[4]: الاثنان الأولان سياسيان

---

(2) السير روبرت غرينجر كير ثومبسون (1916-1992). ضابط عسكري بريطاني وخبير بمكافحة التمرد، وهو من قدامى المحاربين في ماليزيا وفيتنام. كان يُعتبر على نطاق واسع وعلى جانبي المحيط الأطلسي خبيرًا عالميًا رائدًا في مواجهة تقنية ماو تسي تونغ في شأن تمرد حرب العصابات في المناطق الريفية. انظر:
«Robert Grainger Ker Thompson,» *Wikipedia*, in: https://goo.gl/bMWxif.

(3) Robert Thompson, *Defeating Communist Insurgencies: Experiences from Malaya and Vietnam*, Studies in International Security (New York: Praeger, 1966), p. 52.

(4) يحدّد ثومبسون خمسة مبادئ هي أسس لنجاح مكافحة التمرد والإرهاب:
- ينبغي أن يكون للحكومة هدف سياسي واضح لإنشاء بلد حر ومستقل وموحد، والحفاظ عليه ليكون مستقرًا سياسيًا واقتصاديًا وقابلًا للعيش فيه وممارسة الحياة الطبيعية.
- يجب على الحكومة أن تعمل وفقًا للقانون.
- يجب أن يكون للحكومة خطة شاملة.
- على الحكومة أن تعطي الأولوية لمكافحة التخريب والفساد السياسي، قبل مكافحة العصابات.
- في مرحلة الحرب على العصابات المتمردة التي تمارس الإرهاب، على الحكومة تأمين مناطق قواعدها أولًا، ومن ثم الانقضاض على المتمردين. انظر:
Robert Thompson, «Regular Armies and Insurgency,» in: Ronald Haycock (ed.), *Regular Armies and Insurgency* (London: Croom Helm, 1979), p. 61.

بعد أن توصل ثومبسون مع زميله الخبير الأمني غالولا، وغيره من الخبراء إلى توافق مشترك، أورد في كتابه المشار إليه «أن مكافحة التمرد لا يمكن خوضها كالحروب التقليدية». وكان المبدأ الأساس الذي وُضع لمكافحة التمرد هو اللجوء» الأدنى إلى إطلاق النار». وفي الوقت نفسه، «يجب أن يكون الجندي مستعدًا ليصبح=

في طبيعتهما بشكل جوهري، وغير عسكريين، يفضيان إلى نتائج ديمقراطية، إذ يجب أن يكون هناك هدف سياسي عريض يتضمن درجة عالية من التنازل والدعم من جميع الأطراف، يلازمه حكم القانون. أمّا المبادئ الثلاثة الأخرى فعسكرية بطبيعتها، لكنها ربما تشكل جهدًا بلا غاية إذا لم يتحقق المبدأ الأول[5].

كان ثومبسون قد تحدث عن حرب العصابات، عندما كتب: «..... الإغراءات التي تتعرض لها القوات الحكومية التي تتصرف خارج القانون قوية للغاية في التعامل مع الإرهاب وعمليات حرب العصابات، ليس لأنها خطأ أخلاقي فحسب، بل لأنها بمرور الوقت ستضع صعوبات عملية أمام الحكومة أكثر ممّا ستضع حلولًا؛ فحين لا تعمل الحكومة وفقًا للقانون، يسقط حقها في أن تُسمى حكومة، ولا يمكن بعد ذلك أن نتوقع من شعبها طاعة القانون»[6].

تمثل مسألة الوقوف على أسباب التطرف ودوافعه عند

=داعية «مروجًا لدعوة»، عاملًا اجتماعيًا، مهندسًا مدنيًا، مدرّسًا، ممرّضًا، وكشافًا. كان التوصل إلى مثل هذه الدروس يتم بشق النفس، أمّا الأمر الأكثر صعوبة فكان جعلها مقبولة للضباط العسكريين الذين بقي مثلهم الأعلى ممثلًا في الحرب الخاطفة المدرعة التي لا تمتلك إلا الاستهانة بالمقاتلين المسلحين تسليحًا خفيفًا من هنا وهناك.

لمزيد من التفصيلات، انظر: «متمردون ومقاتلون من الإمبراطورية الأكادية وصولًا إلى أفغانستان»، مجموعة الخدمات البحثية، 16/ 4/ 2013، في:

http://www.rsgleb.org/article.php?id=424&cid=18&catidval=0.

(5) جيمس ويلي، من محاربين إلى سياسيين: الإسلام السلفي ومفهوم السلام الديمقراطي، سلسلة محاضرات الإمارات 123 (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، 2009)، ص 5.

(6) Thompson, *Defeating Communist*, p. 52.

الشباب ومعالجة المشكلات التي تواجههم، وفي مقدمها البطالة والتهميش والعنصرية والاضطهاد القسري وغيرها من الجوانب التي ذكرتها في متن هذه الدراسة، أهم ما ينبغي إيجاد الحلول الناجعة والعاجلة لها، من أجل كبح جماح التطرف المتنامي الذي يقود إلى الإرهاب، خصوصًا عند الشباب. ويمثل العمل على إصلاح الخطاب الديني، وتشذيب التوعية الدينية التي ينبغي أن تدعو إلى الإسلام المعتدل أو «المستنير» كما تسميه جهات فرنسية كثيرة وتطالب به، والتوجه إلى إسلام خالٍ من التطرف والعنف والتحريض على القتال، مسائل مهمة يجب تبنيها وتفعيلها.

لعل من بين المسائل المهمة العمل على إخضاع شبكة الإنترنت، ولا سيما مواقع التواصل الاجتماعي، لمراقبة وتتبع نشاط الجماعات الإرهابية ومراسلاتها، من دون المساس بالحرية الشخصية في استخدام العامة هذه الشبكة ومواقعها، فضلًا عن إصدار التشريعات اللازمة لمكافحة الإرهاب والتطرف، على أن يجري ذلك بالتنسيق والتعاون بين دول العالم المختلفة والمنظمات والجهات المعنية بفرض الأمن والسلام العالميين، ولا سيما في أوروبا، حيث يُصنع الإرهاب ويُصدَّر في أيامنا هذه تحت غطاء الإسلام إلى مناطق العالم كلها، وفي مقدمها الشرق الأوسط، مع توخي الحذر من ردات الفعل تجاه المسلمين والعرب، الآتية من قيام بعض الإرهابيين والمتطرفين بتنفيذ هجمات في كثير من المدن الأوروبية.

مثلما قال جيل كيبل: «... في المقابل، وكما أظهرت التظاهرة الوحدوية الكبرى في باريس في 11 كانون الثاني/ يناير

2015، لم يقع الشعب الفرنسي في فخ الجهاديين. خلافًا لذلك، أراد هذا الشعب أن يُعيد، في وجه خطر التجاذب المذهبي، إحياء قاعدة من القيم المشتركة، حيث يشغل المسلمون الفرنسيون مكانهم كاملًا شرط أن يتشاركوا هذه القيم. ومن الآن فصاعدًا، ينبغي للمؤسسات الأوروبية في مجملها أن تأخذ هذه المهمة على عاتقها»[7].

خلاصة القول: ما زالت الجماعات الإرهابية المتطرفة مستمرة في تنفيذ عملياتها الإرهابية واستخدام العنف حتى يومنا هذا في أوروبا، وهي تُعَد ارتدادًا للنشاط الإرهابي الذي يمارسه الإسلامويون المتطرفون في مناطق مختلفة من العالم، خصوصًا في منطقة الشرق الأوسط وفي بعض الدول الأفريقية التي تُعتبَر ملاذات شبه آمنة وحواضن لتلك الجماعات الإرهابية. ولن تتوقف تلك العمليات إن لم يجرِ تجفيف منابع الإرهاب وحواضنه الرئيسة، فضلًا عن وقف الدعم الإعلامي والمعنوي والإمدادات اللوجستية والمالية لتلك الجماعات. يتطلب هذا الأمر تعاون الجميع (دول ومنظمات ومؤسسات وأفراد) في الغرب والشرق، من أجل وقف تنامي قدرات الجماعات الإرهابية المتطرفة الذي يفضي إلى اتساع حجم التدهور الأمني الذي يعم العالم اليوم، وربما سيتسع نطاقه في الغد القريب. وما يُؤسف له أنه يجري تحت غطاء الإسلام من خلال حذف تعاليمه ومبادئه، الأمر الذي يؤدي إلى تشويه صورته في الغرب والشرق على حدٍّ سواء.

---

(7) جيل كيبل، «الجيل الثالث من الجهاديين»، النهار (بيروت)، 10/3/2015.

المراجع

1- العربية

كتب

أركون، محمد. **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**. ترجمة هاشم صالح. ط 3. بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998.

بوزيد، بومدين، وآخرون. **قضايا التنوير والنهضة في الفكر العربي المعاصر**. سلسلة كتب المستقبل العربي 18. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

الجابري، صلاح، وآخرون. **الإصلاح الديني والسياسي: إعادة قراءة النص الديني والممارسة السياسية**. دمشق: دار الزمان، 2011.

رودنسون، مكسيم. **بين الإسلام والغرب: حوارات مع جيرارد د. خوري**. ترجمة نبيل عجّان. بيروت: دار كنعان للدراسات، 2000.

قرم، جورج. **تاريخ الشرق الأوسط: من الأزمنة القديمة إلى اليوم**. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010.

كاريه، أولفييه. في ظلال القرآن: رؤية استشراقية فرنسية. ترجمة محمد رضا عجاج. القاهرة: الزهراء للنشر، 1993.

محمد، عبد الله يوسف سهر. مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين. دراسات استراتيجية 57. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001.

الموصللي، أحمد. موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004.

نصر، مارلين. صورة العرب والإسلام في الكتب الفرنسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.

ويلي، جيمس. من محاربين إلى سياسيين: الإسلام السلفي ومفهوم السلام الديمقراطي. سلسلة محاضرات الإمارات 123. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، 2009.

مواقع إلكترونية، تقارير

«الإسلام في فرنسا». ويكيبيديا، شوهد في: 23/ 1/ 2016، في:
https://goo.gl/t8Io0G.

«باحثة في أمريكا تشرح أسباب انضمام نساء الغرب لداعش: القتال لا يدور حول حقوق المرأة بل يتعلق بإقامة الخلافة الإسلامية». سي أن أن بالعربية: 19/ 2/ 2015، في:
http://arabic.cnn.com/world/201519/02//isis-usa-west-women.

«تجريم تمجيد الإرهاب من الإجراءات الجديدة في فرنسا». روسيا اليوم: 22/ 1/ 2016، في:

http://arabic.rt.com/news/770759.

تزغارت، عثمان. «فيديو: من هم «جهاديو أوروبا»؟». موقع قناة فرانس 24: 30/ 1/ 2014، في:

https://goo.gl/w3yMkk.

«تفكيك خلية لتجنيد الجهاديين في فرنسا». روسيا اليوم: 15/ 4/ 2015، في:

http://arabic.rt.com/news/768006.

الجمل، منيرة. «سياسي فرنسي يطالب الحكومة بفتح «جزيرة الشيطان» لسجن الجهاديين». الحوار المتمدن: 30/ 11/ 2014، في:

http://www.ahewar.org/news/s.asp?nid=1878247.

«جهاديو الغرب: ظاهرة مستوردة أم محلية؟»، إذاعة مونت كارلو الدولية، 23/ 10/ 2014، في:

http://www.mc-doualiya.com/chronicles/decryptage-mcd.

«سلفية جهادية»، ويكيبيديا، شوهد في: 28/ 1/ 2016، في:

https://goo.gl/DD3BGc.

«سي أن أن بالعربية، في:

https://goo.gl/OA7NXS.

«الشرطة الفرنسية تعتقل ثمانية إسلاميين مشتبه بهم»، وكالة أنباء أونا، 4/ 4/ 2012، في:

http://onaeg.com/?p=43361.

«صحيفة فرنسية تطّلع على مراسلات جهاديين مع ذويهم: نريد العودة». الحدث الدولي: 4/ 12/ 2014، في:

http://www.alhadathnews.net/archives/143959.

صلال، أحمد. « كيف تقاوم فرنسا «الظاهرة الجهادية» بين مسلميها؟». أورينت نت: 15/ 9/ 2014، في:

https://goo.gl/YgpNB4.

العظمة، عزيز. «هل الإسلاموية قدر العرب؟». ترجمة حمود حمّود. مركز البوصلة- شرق المتوسط (برلين): 2014.

عوض، إبراهيم. «رأي حول أسباب الشباب في الانضمام إلى «داعش»». سي أن أن بالعربية: 12/ 10/ 2014، في:

http://arabic.cnn.com/middleeast/201412/10//opinion-shorouk-why-teens-join-isis.

«فرنسا تستنفر أمنيًا وتنشر 300 عسكري إضافي...». وكالة فرانس برس: 23/ 12/ 2014، في:

https://mail.google.com/mail/#inbox/14a83591b13d999a.

«فرنسا تناقش مشروع قانون لمكافحة الإرهاب وتقر قرار أمر منع سفر الجهاديين». I24news: 17/ 9/ 2014، في:

https://goo.gl/N67awB.

«قلق فرنسا من عودة الجهاديين إليها من سورية والعراق: باريس تشدد الرقابة على المتطوعين الجهاديين وتقيد تحركات العائدين منهم مع إمكانية تجريدهم من جوازات السفر». وكالة فرانس برس: 13/ 12/ 2014.

«ماذا تفعل فرنسا ضد داعش؟». موقع وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية: 17/ 1/ 2015، في:
https://goo.gl/w8LpDC.

«متمردون ومقاتلون من الإمبراطورية الأكادية وصولًا إلى أفغانستان». مجموعة الخدمات البحثية: 16/ 4/ 2013، في:
http://www.rsgleb.org/article.php?id=424&cid=18&catidval=0.

ميغو، فيليب. «فرسان العزّة.. من الاحتجاج المتطرّف إلى تهيئة الإرهاب». مركز المسبار للدراسات والبحوث: 2 شباط/ فبراير 2016، في:
https://goo.gl/052bkm.

«نص قانون مكافحة الإرهاب.» موقع الجمعية الوطنية الفرنسية: 17/ 12/ 2015، في:
http://www.legifrance.gouv.fr/affichTexte.

نويوار، يوسف. «واقع وآفاق تدبير الإسلام والمساجد والجمعيات الدينية الإسلامية بفرنسا». الموقع الإلكتروني لمجلس الجالية المغربية في الخارج: 23 كانون الثاني/ يناير 2016، في:
http://www.ccme.org.ma/ar/entretiens-ar/37787.

«1400 فرنسي يقاتلون في صفوف داعش أو يرغبون في ذلك». رابطة المرأة العراقية: 12/ 1/ 2015، في:
https://goo.gl/Lp34Xs.

«930 مواطنًا لهم علاقة بالقتال في العراق وسورية: وزير داخلية فرنسا يعلن أن 930 مواطنًا فرنسيًا يقاتلون في العراق وسورية من ضمنهم 60 إمرأة». 14 :I24 news/ 9/ 2015، في:
https://goo.gl/SKJyDr.

2 - الأجنبية

Books

Abdelkarim, Farid. *L'islam sera Français ou ne sera pas*. collection mise au point. Paris: Les Point sur les i, 2015.

Arkoun, Mohammed. *Histoire de l'islam et des musulmans en France du moyen age à nos jours*. collection essais documents. Paris: Albin Michel, 2006.

Arslan, Leyla et Mohamed-Ali Adraoui. *L'Islam en France: Pour les nuls actu*. Paris: First-Grund, 2013.

Carré, Olivier & Michel Seurat. *Les Frères musulmans (1928-1982)*. Comprendre le Moyen-Orient. Paris: L'Harmattan, 2001.

Caldwell, Christopher. *Reflections on the Revolution in Europe: Immigration, Islam and the West*. New York: Doubleday, 2009.

Cockburn, Patrick. *Le Retour des Djihadistes: Aux racines de l'État Islamique*. Traduction de Adrien Jaulmes. Paris: Equateurs documents, 2015.

De Closets, François. *La France à quitte ou double: Pour en finir avec 40 ans de mensonges*. collection documents. Paris: Fayard, 2015.

Etienne, Bruno. *L'Islamisme radical*. Paris: Hachette, 1987.

Frégosi, Franck. *Penser l'islam dans la laïcité: Les Musulmans de France et la République*. collection les dieux dans la cite. Paris: Fayard, 2008.

Gresh, Alain & Tariq Ramadan. *L'Islam en questions*. collection Babel. Paris: Sindbad, 2000.

Gutton, Philippe. *Adolescence et Djihadisme*. Paris: Esprit du Temps, 2015.

Halliday, Fred. *Two Hours that Shook the World: September 11, 2001: Causes and Consequences*. London: Saqi Books, 2002.

Haycock, Ronald (ed.). *Regular Armies and Insurgency*. London: Croom Helm, 1979.

Kepel, Gilles. *A l'Ouest d'Allah*. collection points. Paris: Seuil, 1994.

_______. *Terreur et martyre: Relever le défi de civilisation*. collection essais. Paris: éditions Flammarion, 2008.

Kersimon, Isabelle & Jean-Christophe Moreau. *Islamophobie: La Contre-enquête*. hors collection. Paris: Plein Jour, 2014.

Khosrokhavar, Farhad. *Quand Al Qaïda parle: Témoignages derrière les barreaux*. Paris: Grasset et Fasquelle, 2006.

Lacroix, Stéphane. *Les Islamistes saoudiens: Une insurrection manquée*. Paris: Presses Universitaires de France, 2010. (collection Proche-Orient)

Larroque, Anne-Clémentine. *Géopolitique des islamismes*. Que sais-je?. Paris: Presses Universitaires de France, 2014.

Laurent, Samuel. *Al-Qaïda en France: Révélations sur ces réseaux prêts à frapper*. Paris: Seuil, 2014.

Luizard, Pierre-Jean. *Le Piège Daech: L'État islamique ou le retour de l'Histoire*. collection cahiers libres. Paris: La Découverte, 2015.

Martinez-Gros, Gabriel et Lucette Valensi. *L'Islam, l'islamisme et l'Occident: Genèse d'un affrontement*. collection points histoire. Paris: éditions du Seuil, 2013.

Meddeb, Abdelwahab. *La Maladie de l'islam*. collection la couleur des idées. Paris: Seuil, 2002.

Muray, Philippe. *Chers djihadistes...* collection essai. Paris: Fayard/Mille et une nuits, 2012.

Nivat, Anne. *Islamistes: Comment ils nous voient*. Collection Litt Gene. Paris: Fayard, 2006.

Plenel, Edwy. *Pour les musulmans*. Paris: La Découverte, 2014.

Roy, Olivier. *L'Islam mondialisé*. collection points essais. Paris: éditions du Seuil, 2002.

_______. *Vers un islam européen*. collection Société. Paris: édition esprit, 1999.

Schemla, Elisabeth. *Islam, L'épreuve française*. collection tribune libre. Paris: Plon, 2013.

Sfeir, Antoine. *Al-Qaïda menace la France*. collection actu. Paris: Le Cherche midi, 2007.

_______. *Les Réseaux d'Allah: Les filières islamistes en France et en Europe*. La nébuleuse Ben Laden. Paris: Plon, 2012.

_______. *L'Islam contre l'Islam: L'interminable guerre des chiites et des sunnites*. Paris: Grasset, 2013.

Thomson, David. *Les Français jihadistes*. collection politique actualités. Paris: éditions Arènes, 2014.

Thompson, Robert. *Defeating Communist Insurgencies: Experiences from Malaya and Vietnam*. Studies in International Security. New York: Praeger, 1966.

Valls, Manuel. *L'Exigence*. collection documents francais. Paris: Grasset & Fasquelle, 2016.

Vignolle, François et Azzedine Ahmed-Chaouch. *La France du Djihad*. Paris: Editions du moment, 2014.

Viollet, Sophie. *L'Islamisme radical et l'occident: Les logiques du ralliement aux formations islamistes dites radicales dans les sociétés occidentales*. Collection Essai. Paris: éditions du Cygne, 2013.

Wickham, Carrie Rosefsky. *The Muslim Brotherhood: Evolution of an Islamist Movement*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2013.

Reports & Websites

Bastié, Eugénie. «Comment la France veut lutter contre le cyberdjihadisme?.» *Le Figaro*: 15/10/2014, https://goo.gl/qUXHYE.

«CFCM, Convention citoyenne pour le vivre ensemble,» Depannage service (juin 2014), dans: http://www.lecfcm.fr/?page_id=3704.

«EU Passenger Name Record (PNR) Proposal: An Overview.» European Parliament News: 14/12/2015, in: http://www.europarl.europa.eu/news/en/news-room/20150123BKG12902/EU-Passenger-Name-Record-(PNR)-proposal-an-overview.

«Les Femmes kamikazes, nouvelle stratégie des djihadistes». Valeurs actuelles: 18 novembre 2015, accessed en : 21/1/2016, dans: https://goo.gl/5YwNki.

«France 2013: Les Nouvelles fractures: Une enquête Ipsos/ CGI Business Consulting pour: Le Monde.» Fondation Jean Jaurès, dans: http://www.jean-jaures.org/content/download/17165/167808/file/Enquete.

«Hexagone (France).» *Wikipedia*, dans: https://fr.wikipedia.org/wiki/Hexagone_(France).

«Robert Grainger Ker Thompson.» *Wikipedia*, in: https://goo.gl/bMWxif.

Roy, Olivier. «Intifada des banlieues ou émeutes de jeunes declasses?.» France Diplomatique, dans: www.diplomatie.gouv.fr/fr/IMG/pdf/0501-ROY-FR-2.pdf.

فهرس عام